

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٥٧ شوال ١٤٣٧هـ

هل تعيد إيران توظيف الحركات الإسلامية في غزو العالم الإسلامي؟

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٥٧)
شوال - ١٤٣٧ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

هل تعيد إيران توظيف الحركات الإسلامية في غزو العالم الإسلامي؟

تحاول إيران اليوم إعادة تنقية صورتها وسمعتها التي انكشفت على حقيقتها بعد زوال ستار التقية التي خدعت بها كثيرا من السذج والجهلة وحَسني النية والظن من قادة الحركات الإسلامية والدعاة وبعض العلماء والمحسوبين عليهم وغالب المسلمين في أرجاء العالم، طيلة ثلاثة عقود ماضية، ولكن مع تصاعد الثورة السورية بدأ كثير من الشخصيات والعامة يفيقون على صيحات الألم وشلالات الدماء التي سفكتها إيران وملاليها وميلشياتها الشيعية من إيران وخارج إيران.

وقد كشفت جرائم وإرهاب إيران والشيعة في سوريا والعراق ولبنان والبحرين والكويت ونيجيريا والسودان وغيرها عن الوجه الحقيقي الكريه للعقيدة الشيعية والسياسة الشيعية، وأنها في غاية العدوان والإجرام، وأنها لا تتردد في قتل كل المسلمين مهما كان جنسهم أو لونهم أو سنهم، وفي أي مكان، وبأي وسيلة مهما كانت وحشية، وأنها لا تخفي حقدها الأعمى على كل المسلمين الذين يعارضونها، وعلى استعداد لشن حرب استئصالية لا تبقي ولا تذر، وقد تجسد ذلك بوضوح في تدمير مدن السنة في سوريا والعراق واليمن.

ومن خبث ملالي طهران وقادتها أنهم - برغم كل هذه الجرائم الإرهابية البشعة- لا يكفون عن إنكار ذلك، ومن ثم يدّعون أنهم مدافعون عن الحق والعدالة، ومن ثم يسعون لكسب ولاء بعض الجماعات والشخصيات الإسلامية السنية لصفهم ولروايتهم لجرائمهم، وفعلا نجحوا في استقطاب البعض منهم!

ويمكن أن نصنف هذه الجماعات والشخصيات الإسلامية لثلاثة أنواع:

النوع الأول: الشخصيات المستقلة والجماعات الهامشية ومحدودة التأثير، لكن إيران لا تفرط بهم من أجل الاستكثار والتشويش بأن لهم علاقات وثيقة في العديد من الدول الإسلامية.

ومن هذه الشخصيات مثلاً: فهمي هويدي وكمال الهلباوي في مصر، وبلال التل في الأردن، وجماعة الجهاد الفلسطينية بزعامة رمضان شلح، وبعض الشخصيات والجماعات الهامشية في عدد من دول أفريقيا وآسيا ممن هم زبائن دائمون في مؤتمرات الصحوة الإسلامية الإيرانية.

ودور هذه الشخصيات والجماعات هو تحسين وتلميع سمعة إيران المتدهورة في بلدانها، كما فعل رمضان شلح عقب زيارته الأخيرة لطهران والتي كال لها فيها المديح وتجاهل أنهار الدماء التي سفحتها إيران، ومن مهمات هذا النوع أيضاً ترويج الدعايات الإيرانية الشيعية ضد الثورة السورية والصف السني في العراق واليمن ومهاجمة عاصفة الحزم وسياسات السعودية وتركيا التي تناقض أطماع إيران العدوانية.

وهذه الشخصيات والجماعات تعتبر البعد المالي شيئا أساسيا في استمرار علاقتها بإيران، فضلا عن قناعات مغلوطة بالوحدة الإسلامية ومقاومة العدوان، بينما هي تتعامى عامدة عن تعاون إيران الصريح مع إسرائيل وعدوانها الواضح على ملايين المسلمين.

النوع الثاني: تيار العنف كالقاعدة وداعش، والذي له تاريخ طويل في التعامل والتعاون والتخادم والتقاطع مع إيران وملاليها ومخابراتها، فعلاقات جماعات العنف المصرية والجزائرية واليمنية والسعودية وتنظيم القاعدة وقادة داعش مع إيران علاقات تاريخية ومتجددة.

وقد نصّ قادة إيران في خطتهم السرية «الخطة الخمسينية» على نيتهم تحريض شباب أهل السنة ضد دولهم وإحداث صراع واشتباكات معهم، ومن ثم يتقرب الشيعة للسلطات السنية بصفتهم أهل الولاء والوطنية، وهذا ما نلاحظه بوضوح على السلوك الشيعي السياسي في بعض دول الخليج كلما وقعت جريمة للغلاة.

فالغلاة لم نشهد لهم جرائم في طهران بخلاف غالب الدول العربية وعواصمها، بل من طهران خرجت أوامرهم لأتباعهم بالتخريب في الرياض وصنعاء، وقد أحدث الغلاة من الهدم والتخريب لمقدرات السنة الشيء الكثير بضرب المقاومة السنية في ظهرها والتمهيد لغزو مناطق

السنة من قبل الميلشيات الشيعية ثم الانسحاب منها بعد سحب السلاح وقتل الرجال وتركها في العراء لوحشية الميلشيات الشيعية، وقد صنعت جرائم هذا التيار سمعة إرهابية سيئة لجميع المسلمين السنة خاصة مع تواطؤ الإعلام العلماني والشيعي واليساري ضد المسلمين بشكل عام، وهذا يصب في طاحونة الشيعة بكل وضوح.

وجرائم الغلاة دائما تأتي لتغطي على جرائم الشيعة في بلادنا، وتقدم فرصة للشيعة للظهور بمظهر المظلوم ومظهر المدافع عن سلامة الوطن، هذه المهمات الجليلة في خدمة مشروع إيران الشيعية تقوم بها جماعات العنف والتطرف.

النوع الثالث: جماعات الإخوان المسلمين، وتحديداً الحزب الإسلامي في العراق وحركة حماس، فبرغم كل جرائم الشيعة من الحكومة والجيش والحشد الشيعي، لا يزال الحزب الإسلامي لا ينطق بالحق بل يزور الحقيقة، ويكيل المديح لكل المجرمين والإرهابيين، ويبرر ويشرعن التهجير والقتل والتعذيب بالتهوين منه أو نفيه، ولو قارنا بين موقف الحزب الإسلامي وبين موقف أي معارضة شيعية في دول الخليج لأدركنا الفارق الكبير بين تخاذل الحزب الإسلامي في تسهيل مهمة المشروع الشيعي والإيراني في العراق وبين اجتهاد ووقاحة المعارضات الشيعية الخليجية في تنفيذ الأجندة الإيرانية والشيعية.

والأعجب من موقف الحزب الإسلامي المتخاذل سكوت غالبية جماعات الإخوان المسلمين في العالم على هذه العمالة والخيانة لإيران أو التخاذل عن نصرة إخوانهم السنة لصالح مكاسبهم الحزبية الضيقة، وحتى الشيخ محمد الراشد حين عاتبهم وانتقدهم وانتشر ذلك العتاب خلافا لما أراد عاد وحاول التهوين من الخيانة!

وحركة حماس قدمت مصالحها الذاتية باسم مصلحة فلسطين فعادت تمجّد وتمدح إيران في الوقت الذي بلغت فيه إيران قمة الخيانة والعدوان، وتحاول حماس أن تبرر لنفسها قبول الدعم الإيراني المتوقف من سنوات بحجة الحصار، لكن ما يعيبه عليها المخلصون والشرفاء من جماعة الإخوان وغيرها ليس قبولها الدعم من المجرمين والإرهابيين من ملالي طهران، بل رضوخها وانكسارها بمدح الفجّار كذباً وزوراً قبل أن يدعموا!!

وهنا أيضا تصاعد التبرير من غالب قيادات الإخوان والمتعاطفين مع حماس على حساب دماء الأبرياء والضعفاء.

والذي تأمله إيران من التخاذل والمديح الإخواني هو شرعنة جرائمها وعدوانها وتلميع صورتها وتحسين سمعتها، ومن خبث إيرانٍ أنها تدرك أن قادة الإخوان عموما - وحماس خصوصاً - يمكن لهم تجاوز حملات السب والشتم والتخوين التي أطلقتها عليهم قبل مدة يسيرة، ولذلك لم تخجل إيران من معاودة استدعائهم وإغرائهم بالدعم، وفعلا قبلت حماس بالدعم، ونفذت المطلوب، فخرج تصريح أبو مرزوق المليء بالكذب والزور عن دعم إيران المنقطع النظير، وكثرت تصريحات مشعل في تبرير عودة العلاقات مع إيران، والعجيب أن أبو مرزوق قبل شهور قليلة وصف إيران بالباطنية والكذب وانعدام الدعم من قبل الثورة السورية، وتحديدا من عام ٢٠٠٩!

وفي بداية الثورة السورية سنة ٢٠١٢ دعت حركة النهضة التونسية بزعامة الغنوشي ممثلي حزب الله لحضور احتفال للحركة، وشارك الغنوشي حفل سفارة إيران أيضا مطلع سنة ٢٠١٦، ولم يقبل الغنوشي بتصنيف حزب الله كتنظيم إرهابي، وهي تصرفات انتقدها على الغنوشي وحركة النهضة عدد من قيادات الإخوان وفروعها.

وهذه المواقف الداعمة لإيران وغير المقبولة تأتي والأمة الإسلامية تخوض مواجهة صريحة لإيقاف العدوان الإيراني الطائفي والوحشي في عدد من البلاد العربية التي سالت فيها دماء مئات الألوف على يد إيران وميلشياتها الطائفية!

وإذا بقي الإخوان المسلمون في المنطقة الرمادية من قضية التشيع وإيران ولا تتضح حقيقة موقفهم منها هل هو موقف يقوم على وعي بطائفية وإرهاب وظلامية معتقد الشيعة الذي يتحكم بسياسة ملالي طهران، أم هو موقف براغماتي سياسي لا يكترث لحقيقة إيران ومشروعها الطائفي الشيعي الذي تريد توظيفهم لخدمته؟

إذا بقي الإخوان في هذه المنطقة الرمادية فلا يعتب أحد على نبذ السلطات العربية لهم وعدم ثقتها بهم في محاربة إيران ومشروعها العدواني التوسعي، ولا يستغرب أحد إذا وقع تغير كلي في موقف الإخوان من العدوان الإيراني في سوريا أو اليمن أو أي مكان آخر، على شاكلة الحزب الإسلامي العراقي من القبول بحكم الشيعة والمشاركة السياسية وشرعنة الواقع الطائفي والتفريط في حقوق أهل السنة، في سيناريو يكرر الخيانة لدماء الأبرياء في مذبحة حماة عام ١٩٨٢، إذ سرعان ما عادت جماعات الإخوان في العالم للتعاون مع نظام حافظ الأسد بكل سلاسة برغم دماء إخوانهم الإخوان وغيرهم، وبرغم بقاء تجريم فرع الإخوان السوري!

وفي الختام: لقد أصبحت الجماعات الإسلامية وكثير من النخب عامل قلق في مقاومة العدوان الإيراني الشيعي الإرهابي، وعلى العقلاء تدارك الأمر وسد الخلل قبل وقوع الكارثة.



من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
٨- محمد حبش

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

من العبث في المصطلحات الشرعية إلى العبث في الفتوى إلى العبث في المسلّمات الشرعية وصولاً للعبث في الأصول هي رحلة وقصة محمد حبش، والتي لا تكفي مقالة كهذه لسرد تفاصيلها.

تَميز عقيدة الإسلام عن عقائد الأديان الأخرى المختلفة قضية من ثوابت الإسلام لا تزول ولا تتبدل ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ [الكافرون: ١]، ومحاولة تمييع هذه الحدود الفاصلة بزعم محاربة الإرهاب والتطرف فساد عقائدي صريح لا يحتاج إلى تأول ولا إلى تأويل؛ فالذي وضع هذه الفواصل هو من راعى حقوق غير المسلمين في المجتمعات المسلمة، وأمر مجموع هذا المجتمع بالإحسان إلى الجيران، قال تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]؛ فالآية واضحة الدلالة في وجوب الإحسان إليهم والبر بهم.

ومحاولة تمييع الأصول العقدية الإسلامية هي المعركة القادمة على صعيد المواجهة الفكرية مع عملاء الاستشراق الغربي، وهي القاعدة المشتركة بين جلّ من كتبت عنهم في مقالاتي ضمن هذه السلسلة.

ولعل إدراك حقيقة وقوة المعركة الفكرية الجارية بين الإسلام والعلمانية اليسارية والعلمانية الليبرالية يجيب على سؤال البعض: ما هو الهدف من تصدير أمثال دعاة الفتنة هؤلاء لطرح هذه الأفكار المصادمة للدين في وسائل الإعلام؟! وما هو الهدف من تكرار هذه المسائل على مسامع الناس وكثرة النفخ في هذه الأقوال وفي أصحابها في وسائل الإعلام المختلفة؛ وهي من المسائل التي تخالف دين الاسلام من كل وجه؟ ولماذا يتم النفخ في أصحاب هذه الآراء الشاذة وإعطاؤهم منازل فوق منازلهم؟!!!

البداية...

ولد محمد حبش في مدينة دمشق في سوريا عام ١٩٦٢، ونشأ وترعرع في ظل مدرسة شيخه ووالد زوجته لاحقًا أحمد كفتارو (مفتي النظام السوري سابقاً) مما يعطي تصوراً عاماً عن بداية تأسيسه في

تيار صوفي مدجّن لصالح النظام السوري النصيري، والتي ستتطور مع الزمن لتصبح علاقة دينية وسياسية، وستمتد هذه العلاقة السياسية مع النظام العلوي بطريقة غير مباشرة حتى في مرحلة ما بعد الثورة السورية التي زعم أنه انحاز إليها.

حبش ليس صوفياً درويشاً، بل هو صوفي ذكي استغل الفرصة التي لاحت له بالجمع بين التدين والسياسة أو تطويع الدين للسياسة، ليس بطريقة الصوفية التقليدية التي تعزل المتصوفة عن الشأن العام، بل من خلال تطويع الدين لرغبات العلمانية اليسارية للنظام العلوي تحديداً والتي تتقاطع مع رغبات النظام الدولي العالمي.

بدأ بدراسة العلوم الاسلامية في المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد التابع لمجمع أبي النور، ثم تابع دراسته في جامعة دمشق، وحصل على درجة الإقراء بالقراءات المتواترة من «شيخ القراء» محمد سكر، فهو من القراء للقرآن الكريم، وكانت بداية ظهوره واشتهاره بكونه أحد قراء القرآن الكريم، وببرامجه الدينية الإذاعية، وليست هذه تزكية له، بل هي تكليف بالطاعة وإعمال لقاعدة الإخلاص فإن تحققت نجا، وإلا كان من جملة مَن قال فيهم رسول الله ﷺ: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» رواه أحمد، فالقرآن إما أن يكون حجة لك بين يدي ربك، وإما أن يكون حجة عليك.

ثم شارك في العمل العام واعظاً وخطيباً وإماماً، ثم مؤسساً ومديراً لمعاهد القرآن الكريم في سوريا، ومارس التأليف والشعر والكتابة، وحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة القرآن الكريم بالخرطوم بإشراف الدكتور وهبة الزحيلي والدكتور محمد علي الإمام.

وفي عام ٢٠١٠ منحته جامعة كرايوفا الرومانية دكتوراه شرفية لبحوثه ونشاطه في حوار الأديان وبشكل خاص كتابه (سيرة رسول الله)، الذي ترجم للرومانية.

كما انتخب مرتين رئيساً لجمعية علماء الشريعة في دمشق، كما انتخب أميناً لرابطة كتاب التجديد في القاهرة، ويُكثر محمد حبش من التغني بمنهجية الشيخين- عنده- محيي الدين بن عربي وجلال الدين الرومي!!!!

انخرط في العمل السياسي وأصبح عضواً في مجلس الشعب السوري في عام ٢٠٠٣، وترأس جمعية الصداقة السورية الإيرانية.

تبرؤ شيخه كفتارو منه ومن ضلاله!

لم يستمر حبش على منهج التصوف الذي درسه على شيخه أحمد كفتارو بل مزج ذلك بمناهج ضالة جديدة فأخذ من جودت سعيد أسوأ ما عنده، وتابع حسن الترابي في ضلالته، حتى اضطر شيخه كفتارو، مفتي سوريا، أن يتبرأ منه ومن انحرافاته عن دين الله تعالى، فأصدر بتاريخ ٢٠٠٣/٢/١٩م فتوى محذرة من أفكار وسلوك محمد حبش جاء فيها: «فقد اطلعت على بعض الأفكار الخاطئة التي وردت في كتاب «المرأة بين الشريعة والحياة» ومقدمة كتاب «المشترك أكثر مما تعتقد»، وهي أفكار شاذة مخالفة للأحكام الشرعية وأصول التفسير وأصول العقيدة الإسلامية، ويستطيع التعرف عليها بسهولة أصحابُ الاختصاص من أهل المعرفة.

وإني استنكر محاولات إلصاق هذه الأفكار بنا، أو الإيحاء بموافقتنا عليها، من خلال مقدمتي لكتاب «المرأة بين الشريعة والحياة»، طلبت من المؤلف سحبها وعدم طباعتها، ومع ذلك لم يستجب وخالف المطلوب.

كما استنكر تقوّله علينا مما لم نقل وبشكل مخالف للحقيقة والشريعة.

وأؤكد عدم صحة اتهامه لإخواني وتلامذتي بأنهم يخالفون ويتجاهلون منهجي في التآخي الوطني والتعامل الإيجابي مع الحكومة الوطنية».

وفي بيان أحمد كفتارو المبكر منذ سنة ٢٠٠٣، ألف وقفة ووقفة في منهجية محمد حبش سواءً في التعامل مع المخالفين، وفي الكذب على شيخه، وفي التزلف للنظام الأسدي، وأن انحراف

محمد حبش انحراف قديم وأصيل!

منزلة النصوص الإلهية عند محمد حبش

لم يكن تبرؤ كفتارو من حبش لقضايا بسيطة وهامشية بل لأن انحراف حبش من الخطورة بمكان، فالنصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية لا تعني شيئاً في مقابل عقل وثقافة الدكتور محمد حبش؛ فما وافق عقله وقيم العدالة الإنسانية المشتركة - في ظنه – يقبله، وما لم يوافق هذه القيم الفكرية لا يقبله، بل حده التأول أو الرد على حسب النظر والمقام!!!

ففي حوار مع صحيفة الجمهورية، ونشره على صفحته الشخصية في الفيس بوك، قال: «وليس من هدف التجديد الديني نزع القداسة عن النص، وإنما وضعه في إطار تاريخانيته، فالنص التوراتي والإنجيلي والزبوراني نصوص مقدسة في ضمير المسلم، ولكنها في سياقها التاريخاني، تحظى بتقديس المسلم واحترامه دون أن تكون قيداً على العقل، وهي كلام الله المبين وحبل الله المتين ولكنها ليست نصا لكل زمان ومكان».

فنصوص القرآن ليست لكل زمان ومكان بل هي نصوص تاريخية مجردة تحكم على الواقع الذي نزلت فيه!!!! والعقل له الحجة على الحكم على النص، ليس فقط بتأويله، بل بعد إعمال العقل فيه، هذا عند محمد حبش!!

ويقول متابعاً لما سبق: «الآيات المتشابهة هي مخرج أصولي حكيم وضعه القرآن الكريم في رأيي لإنهاء الاشتباك الذي يمكن أن يحصل بين الدين والعقل في أي مرحلة من التاريخ... والقرآن يقدم تنازلاً حقيقيا من طرفه فيأذن لنا بالاعتصام بالمتشابهات والتوقف عن إعمالها حين تتعارض مع مصلحة الأمة ومع دليل العقل، ... إنه مخرج ملائم في عقيدة تتدثر دثار الغيب، ولا ينقص في عيون أبنائها شيئا من قدسية النص وطهره، لا أستطيع أن أنقل لك أي اتفاق بين المفسرين على تحديد آيات التشابه، ولكنني أستطيع أن أنقل لك ألف نص أنها موجودة وهي اعتصامنا حين نضطر للتوقف عن إعمال النص».

فكل القيمة عند محمد حبش هي إعمال العقل والدعوة إلى التوقف عن العمل بالنصوص حين التعارض، مع القول بتاريخية النص؛ وأن نصوص القرآن الكريم ليست لكل زمان ومكان، فهل يقول هذا مسلم فضلاً عن عالِم؟!!

هذه هي حقيقة الفكر الذي رفع رايته محمد حبش، وهو فكر المادي الجدلي الذي هو فكر العبث بنصوص الشريعة تحت راية العقل والنظر في علم الغيب استقاه من جودت سعيد «المعلم»، كما يحب أن يسميه في جلّ كتاباته عنه.

موافقات محمد حبش لحسن الترابي في مخالفاته العقدية والمنهجية

كتب محمد حبش في مقاله المعنون بـ «مصارحات في وجوب إصلاح المناهج الدينية» قائلاً: «مع قيام داعش باجتياح الموصل قبل سنتين كتبتُ تحليلاً دقيقاً عن داعش وقلت فيه إن داعش هي ثقافتنا التي علمناها لجيلنا على مقاعد الدرس، وإنها موجودة بشكل واضح في درس الديانة حيث **يتم تكفير اليهود والنصارى** وتارك الصلاة، وموجودة في درس السياسة حيث يتم التخوين والتشويه لكل معارض ينشد الحرية».

إن التلاعب بالأحكام الشرعية وبأصول الدين الإسلامي الحنيف واستغلال بعض الأحداث لتطبيع آرائه مع واقعه؛ هي طريقة الدكتور محمد حبش التي ينتهجها في معالجة كثير من أفكاره، فكفر اليهود والنصارى ليست مسألة متعلقة بداعش ولا بوجودها، وكذا الخلاف في كفر تارك الصلاة، لكنه وللأسف استغلال فرص وتلاعب فقط!!

وبالرغم من أن كفر اليهود والنصارى نصّ عليه الله عز وجل في القرآن الكريم في غير ما آية أو موضع، ولكن حبش يصر على مخالفة القرآن الكريم، ففي مقاله «كلنا شركاء» حاول من خلاله إبراز منهجية حسن الترابي الفكرية التي تتفق مع منهجه التجديدي المدعى؛ وكما يقولون: وافق شنٌّ طبقة.

فقد كتب فيه مادحاً منهج الترابي الذي يعمل على إذابة كل فرق بين دين الاسلام وباقي الأديان «وكان موقفه صادماً للمجتمع السوداني المحافظ **حين أعلن بوضوح عن دعوته للإسلام ديناً من الأديان وليس ديناً فوق الأديان، وأن المسلمين أمة بين الأمم وليسوا أمة فوق الأمم**».

وهذا كلام في غاية الانحراف عن دين الله عز وجل، وكرر حبش هذه الفكرة مؤكداً عليها كما على صفحته في الفيس بوك بتاريخ (٢٠١٥/٢/٢٨) حيث كتب: «منذ ١٥ عاماً أصدرت كتابي رسالة التجديد والمشترك أكثر مما تعتقد وكتاب المرأة ... وهي دراسات واضحة في وجوب التجديد الديني والعمل بروح النصوص وليس بظواهرها... ومنح دور أكبر للعقل... **ورفضنا احتكار الجنة واحتكار الخلاص إيماناً بعموم قوله تعالى:** ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره...﴾

وقلنا بوضوح إن الجنة عاقبة المحسنين من كل دين ومذهب... وإن رسالتنا هي دين بين الأديان وليس فوق الأديان، ونبي بين الأنبياء وليس نبياً فوق الأنبياء، وأمة بين الأمم وليس أمة فوق الأمم» أ.هـ

وهذه محاولة صريحة لتذويب أي فرق بين الإسلام وبين غيره من الأديان، كما هو واضح من عبارة الدكتور، مما جعل بعض الغيورين يعترض عليه مشفقاً كالدكتور أحمد العتر معلقاً عليه: «أرجو من حضرتك يا دكتور أن تفسر لنا هذه الآية ﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ وأيضاً آية ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾... وأدعوك بصدق لمراجعة عقيدتك لكي لا تلبّس على الناس... وتذكر أنك! ستُسأل أمام الله عز وجل عن كلامك هذا... هدانا الله وإياك».

فكان جواب الدكتور محمد حبش ضعيفاً جداً، بل ظاهره الحيدة والاضطراب: «الدكتور أحمد العتر... دين الاسلام هو دين الله، وقد شرحه القرآن الكريم بقوله: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً﴾...

وقناعتي أن الأنبياء جميعاً دعوا إلى الإسلام ... والأديان تنسب لأصحابها البوذية والمسيحية والزرادشتية والموسوية... إلا الإسلام .. فإنه ينسب إلى الله .. ويا أخي دكتور أحمد.. هل تظن أن شيئاً يدعوني لما أقول أكثر خوفاً من لقاء الله والشوق إليه».

والحق أن جوابه على سؤال الدكتور أحمد العتر يعطي انطباعاً لمن تأمل عن حجم الفجوة والفراغ التي عند محمد حبش، لعجزه عن إعطاء الدكتور أحمد العتر جواباً واضحاً يعزز طرحه فكان أقوى، وما وجده هو الطرح العاطفي الذي يحاول فيه استغلال عاطفة المقابل له، بل إن جوابه لمن تأمل عليه لا له، فالإسلام الذي ينسبه إلى الله هو الذي يقبله الله، بخلاف ما ينسب لغيره فإنه لن يقبله الله.

فالرجل لا يرى في دين الإسلام ميزة على غيره من الأديان بل هو دين بين هذه الأديان كما هو الواضح في عبارته، مما سبب له الجرأة على مخالفة الأحكام وأصول الشريعة، وهذه نتيجة طبيعية لمن بلغ هذا الحد!!!

الانحراف باسم الدين

وهذه بعض من الفتاوى الشاذة لمحمد حبش لنفهم خطورة تحريفه للإسلام:

❖ مرويات الصحابة محل نقاش وتمحيص، ومن جزم بأن الطعن فيهم كفر، فقد كفّر عشرات الصحابة الكرام، ومن أشهر من اتهم على ألسنة عشرات الصحابة أبو هريرة ومعاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومحمد بن أبي بكر، والقرآن وصف بعض الصحابة بالنفاق وبعضهم بالكفر، (رسالة التجديد). وهذه مغالطات مكشوفة من حبش جارى فيها الشيعة والمستشرقين.

❖ الشريعة لم تحسم شكل الحجاب على كل

مسلمة بل ظل الحجاب محل اجتهاد وتأويل (المرأة بين الشريعة والحياة)، وهذا انسجام تام مع الفكر النسوي المعادي للدين، والإسلام خصوصاً.

❖ الشَّعر المسترسل على النساء الذي يبدو في حال المهنة من المسائل المتروكة في الواقع للمرأة المسلمة فهي التي تقدر واقعها دون سواها، فهي المسؤولة عن تحقيق العفاف الاجتماعي في الأمة (المرأة بين الشريعة والحياة). وهذا تلبيس وتلاعب بالدين.

❖ إن المنديل الذي يستر كل الوجه ليس صورة حضارية مقبولة، ولا يتناسب أبداً مع العصر الحاضر (المرأة بين الشريعة والحياة). تمييع وانبطاح لأعداء الإسلام.

❖ لم يرد عن النبي ﷺ أنه امتنع عن مصافحة النساء في البيعة (المرأة بين الشريعة والحياة)، وهذا كذب صريح ومتعمد، فأين محمد حبش عن قول عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري: «لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط»، وحديث النبي ﷺ: «إني لا أصافح النساء».

❖ وهو معجب وفخور بفتوى حسن الترابي بجواز زواج المرأة بمن تحبّ من الرجال سواء كان مسلماً أو غير مسلم!

محمد حبش والدعوة إلى العلمانية!!

أصبح تبني الأطروحات العلمانية عند بعض المعاصرين المهزومين منهجا يتزين به صاحبه حتى لا يُتهم بأنه إرهابي أو طائفي؛ فمثلا في مقال محمد حبش «النبي الديمقراطي» كتب كلاماً طويلاً حاول من خلاله زعزعة القناعة بوجود نظام تشريعي في الإسلام، وأن النبي ﷺ حارب الحكم الثيوقراطي؛ وامتدح كتاب علي عبد الرازق فقال: «ولعل أوفى دراسة في هذا السبيل هي ما قدمه العلامة علي عبد الرازق في كتابه الشهير «الإسلام وأصول الحكم» الذي أعاد كتابة الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية في ضوء المنجز الديمقراطي العالمي، وقسم الحضارة الحديثة في إصلاح علاقة الحاكم بالمحكوم».

وكتاب علي عبد الرازق رد عليه علماء الأزهر والتي منها رد شيخ الأزهر العلامة محمد الخضر حسين وجردوا صاحبه من لقبه الأزهري لما احتواه من أباطيل.

وفي نفس المقال يردد حبش الرؤية العلمانية لدور الإسلام في الشأن العام، مما يعطي العلمانية الهيمنة المطلقة على الحكم في بلاد الإسلام، وفيه انحياز للأقليات الطائفية على حساب الغالبية المسلمة والسنية، فقال: «إن قيام الأحزاب الدينية بالنطق باسم الرب في الشأن السياسي أمر بالغ التأثير في الحياة العامة وسيؤدي إلى مضاعفات خطيرة خاصة في بلد تسكنه طوائف كثيرة تختلف مرجعياتها الدينية والطائفية ويجاوره بلدان جاران يصطليان بنيران الفتنة الطائفية التي **قادتهم إلى حرب أهلية كلفت مئات الآلاف من القتلى.**

وبالجملة فمرحباً بالأحزاب الملتزمة لحماية الفضيلة والأخلاق والعفاف والعدالة والتنمية، ولكن ليس من المفيد في شيء بروز كتل سياسية تحمل اسم الإسلام، الأمر الذي سيجعل الآخرين مباشرة في مواجهة غير مرغوبة مع الإسلام في حين أنهم في الحقيقة إنما يواجهون برامج سياسية لكتل محددة من الناس».

وفي إطار الدفع نحو علمانية الدولة بلغة لا تسقطه في أعين محبيه ممن لا يزالون يعظمون المنحنى الإسلامي في الحكم تحدث في مقاله «كلنا شركاء» بإعجاب بما طرحه حسن الترابي من تجارب فقال: «وتحدث الترابي بوضوح عن الروح العلمانية في الإسلام وأعلن تأييده لعلمنة الدولة بمعنى تمييز الدين عن السياسة واعتبار الفقه الإسلامي تراثاً غنياً للأمة يسهم في تشريعاتها دون أن يحتكر الوعي التشريعي لصالحه، ونادى بها فقهاً بين الفقه العالمي وليس فقهاً فوق تجارب الإنسانية».

ومما قاله في خاتمة مقاله أيضاً عن الترابي «سيكون الترابي مصدراً ملهماً للثورة السورية وهي

تسجل **انتقالها من الديني إلى الوطني**، وربما كانت فتاويه أكثر فتاوى الواقع إلحاحاً وضرورة في الحوار مع التيار الإسلامي الثائر الذي يريد أن يبقى في فلك الشريعة ولكنه لا يريد أن يخرج من روح العصر»

نعم؛ هي تلك المعارضة بين الشريعة وروح العصر – بزعمه- هي التي جعلته أن يقول في نفس المقال: «وفي إطار الحدود الشرعية كان للترابي موقف جريء وشجاع حيث رأى أن الفهم الصحيح للعقوبات في الإسلام يجعلنا نمتنع تماما عن تنفيذ الحدود التقليدية من قطع ليد السارق ورجم للزاني وصلب للمحارب وغيرها، **واعتبر أن القراءة العميقة لروح الإسلام وتجدده وتطوره تسمح بإعادة كتابة قانون عصري للعقوبات** يؤكد على ردع المحرمات في الشريعة بأساليب أكثر تحضرا وعصرانية، وأعلن تأييده لتحويل العقاب من التعذيب الجسدي بالقطع والجلد والرجم إلى عقوبات إصلاحية تنسجم مع الحضارة الحديثة وتنسجم أولا مع روح الإسلام».

وهذا الطرح المنحرف من حبش يتقاطع بكل وضوح مع معايير مركز راند ومعهد كارنيجي للإسلام المعتدل المطلوب، وهو الدور المطلوب من حبش تنفيذه من جهة، وهو جواز عبور حبش للمرحلة القادمة من تاريخ سوريا بحسب المخططات الدولية التي ترغب ببديل معدل ومهجن من الإسلام في المنطقة يكون منزوع الدسم!

مشروع محمد حبش والمشروع البعثي والقومي مشروع واحد!!

محمد حبش من الذكاء بمكان حيث كما التقط الفرصة في زمن الحكم الأسدي، التقط الفرصة في زمن الثورة السورية، فزعم أنه انشق عن النظام ولم يعمل ضده، ولكنه يطرح نفسه كإسلامي مستنير لم يتلطخ بالثورة من الجهتين، فلم يكن مع النظام ضد الشعب، ولم يشارك المعارضة الإرهابية مقاومة النظام!

ولذلك فهو مؤهل بكل المعايير الروسية والإيرانية والغربية ليكون من قادة سوريا الجديدة، ومن هنا يعمل حبش على تسويق نفسه من خلال الدعاية لفكره العلماني!

ففي لقائه على قناة العربية ومع برنامج «الذاكرة السياسية»، قال: «وأنا شخصياً لم أكن أجد أن مشروعي مختلف مع مشروع البعث؛ بكل أمانة ... المنطلقات النظرية التي نادى بها البعث العربي هي منطلقات جيدة.

مقدم البرنامج: يعني الفكر وليس الممارسة؟

حبش: نعم الفكر، كانت المشكلة مع الممارسة... في الحقيقة يجب أن نعترف بأن ساطع الحصري وزكي الأرسوزي الذين كتبوا المشروع القومي العربي كانوا يكتبون «مشروعا عميقاً»، وكان يلامس بالفعل طموحات الشارع السوري سواء الشارع المتدين أو الشارع العلماني».

وهكذا وبكل صراحة يبشرنا حبش بأنه بعثي قومي متدين ليس لديه مشكلة مع العلمانية والقومية والاشتراكية، ومشكلته مع التطبيق الخاطئ للبعثية، والتي تعني باختصار إعادة إنتاج نظام بشار الأسد بدون الأسد، فهل ينجح حبش في مسعاه ونراه مرة أخرى في صدارة المشهد السياسي السوري الذي تخطط له القوى الدولية ضد رغبة الشعب السوري؟

الخاتمة

محمد حبش نموذج من دعاة الفتنة والضلال الذين يطعنون ويحاولون هدم أصول الدين وثوابته بحجة التجديد الاسلامي، والتجديد منهم براء. فما يقوم به محمد حبش وأمثاله إنما هو مجرد هدم لدين الإسلام لصالح أجندات دولية ومصالح شخصية.

دول ابتلعتها إيران

سلسلة تتناول البلدان والأقاليم التي احتلتها إيران حديثا وجعلتها ضمن دولتها، والمعاناة التي تكبدتها الشعوب جراء ذلك، وطرق مقاومتها للاحتلال الإيراني

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

٧- البختيارية والقشقاي

ينبغي التنويه في البداية (وكما سبق أن نبّهنا في الحلقات السابقة عن الأحواز وبلوشستان وكردستان ولورستان ومناطق التركمان وأذربيجان) إلى أن



احتلال إيران لمناطق البختيارية والقشقاي، وإن كان قد سبق قيام الثورة الخمينية ودولة الملالي سنة ١٩٧٩م، إلاّ أن دولة الملالي لم تبادر إلى تصحيح الأخطاء أو الخطايا التي اقترفتها الدولة / الدول التي سبقتها، والتي ثارت عليها بحجة أنها دولة ظالمة لا تلتزم بشرع الله عز وجل، ولم تبادر إلى نصرة المظلومين والمستضعفين كما زعمت ثورتُها والشعارات التي أطلقتها، بل على العكس من ذلك تماما، رسّخت احتلالها لهذه الأقاليم والبلدان، ونهبت خيراتها، وأمعنت في مسخ هويتها، واضطهاد أهلها وإذلالهم، خاصة إذا كانوا من أهل السنة.

(*) كاتب أردني.

نبذة تاريخية وجغرافية

أولاً: البختيارية

البختيارية هم قبائل مستقلة تعتبر فرعا من اللور، ولهم لغتهم أو لهجتهم الخاصة، التي تسمى البختيارية أو اللورية البختيارية، ويشكلون قومية مستقلة. ولا زال الكثير منهم يعيشون حتى الآن حياة البداوة والترحال، في حين أن الغالبية استقرت في حياة حضرية، ويتواجدون في مناطق غرب إيران، وشرق محافظة عربستان (التي أبدلت إيران اسمها إلى خوزستان)



ومحافظتي جهار محل وبختياري، وبوير أحمد.

ولا تتوفر إحصائيات موثوقة عن أعداد البختياريين في إيران، ولا عن غيرهم من القوميات، لكن الإحصائيات الرسمية الإيرانية لعام ٢٠١١م، ذكرت أن عدد سكان محافظة جهار محال وبختياري بلغ ٩٠٠ ألف تقريبا، في حين تجاوز عدد سكان محافظة بوير أحمد ٦٥٨ ألفا، أما في الأحواز العربية فوصل عدد (اللور والبختياريين) إلى أكثر من مليون و ٦٠٠ ألف نسمة.

ولا يُعلم على وجه الدقة إن كان البختيارية اعتنقوا التشيع بفعل إكراه الصفويين أم اعتنقوه قبل ذلك، أي قبل قيام دولة الصفويين الشيعة

وإجبارهم أهل السنة على اعتناق التشيع، لكنّ الثابت أن البختيارية عانوا من التشيع ودُوله، فبعد أن تعاقبت الدول والإمارات الإسلامية على بلادهم، خضعت الأراضي البختيارية لحكم الصفويين، الذين لجأوا، كما يقول المؤرخ «كروزنسكي» إلى سياسة بث الفرقة والنزاع بين اللور والبختياريين من أجل السيطرة عليهم، حتى أصبحت في عهد الشاه الصفوي عباس الأول سياسة رسمية.

وفي عام ١١٤٨هـ (١٧٣٥م) هاجم نادر شاه، ملكُ الأفشار، البختياريين، محاولاً إخضاعهم لسلطانه، فقتل العديد منهم، وأبعد قسما منهم إلى خراسان، كما هاجم كريم خان الزند منطقة البختيارية، وبعد الاستيلاء عليها أوكل زمام أمورها إلى نائب السلطنة (علي مردان خان).

ولم يختلف الوضع في عهد الدولة القاجارية، التي كانت تشنّ عليهم الحروب لإخضاعهم، ومع ذلك قام أحد زعمائهم، وهو محمد تقي خان جهار لنك، بالثورة على حكام القاجار، وتمكّن من السيطرة على جميع مناطق الأحواز الشرقية وقسم من أراضي مقاطعة فارس، وفي عهد محمد شاه القاجار، تحرك شفيع خان البختياري، وبأمر من محمد تقي خان جهارلنك، ليسيطر على معظم مقاطعة فارس ومقاطعة كاشان، لكن الطموحات البختيارية بدولة مستقلة تبخرت بعد أن تخلى عنها البريطانيون، وتحوّل محمد تقي خان من زعيم ثائر إلى متمرد يتوارى عن الأنظار.

ثانيًا: القشقاي

أما القشقاي فقبائل تركمانية شيعية، تتحدث اللغة التركية، ويشكلون قومية مستقلة، ولهم بيئتهم وثقافتهم المستقلة، ويمتهن رجالها الرعي، في حين تعمل النساء في حرفة النسيج. ويقدر عدد أفرادها بمليون ونصف المليون نسمة، أو أكثر بقليل، من مجموع سكان إيران البالغ ٨٠ مليونا تقريبا، ويتركزون في محافظة فارس، وخاصة عاصمتها مدينة شيراز، وكذلك مدينة أصفهان، عاصمة محافظة أصفهان.

أما الاسم «قشقاي»، فيُعتقد أنه مأخوذ من اسم أحد حكام محافظة فارس من قِبل الصفويين، وهو جاني آغا قشقايي، أو أنه يعني «الحصان الأبيض» باللغة التركية.

ويُعتقد أيضا أن قبائل القشقاي، التي تعتبر من أهم قبائل التركمان في منطقة وسط آسيا، نزحت



من القوقاز في عهد قائد التتار جنكيز خان إلى محافظة فارس الإيرانية قبل ألف عام. ويُعتبر القشقاي من نسل قبيلة آق قويونلو السنية،



التي كان لها دولة في شرق الأناضول وأذربيجان وبلاد فارس والعراق وأفغانستان وتركستان بين عامي ١٤٦٧- ١٥٠٢م، وقضى عليها الصفويون، واحتلوا عاصمتها تبريز، وأقاموا على أنقاضها، وأنقاض غيرها من الدول والأقاليم، دولتهم الشيعية في بدايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

وبعد القضاء على دولتهم، أَجبر الصفويون «الآق قويونلو» على النزوح إلى المناطق الجنوبية من إيران، في حين استقر آخر حكامها، مراد بن يعقوب بن

أوزن حسن الطويل، في مدينة ماردين (في جنوب شرق تركيا على الحدود مع سوريا).

ولعلّ انحدار القشقاي من قبائل «الآق قويونلو» يؤكد أصولهم السنية، كما يؤكد بوضوح ما مارسه الصفويون من بطش وقمع لتشييع أهل السنة، وتحويل إيران وما جاورها إلى دولة شيعية.

بعض ممارسات إيران العنصرية والقمعية تجاه البختيارية والقشقاي

١- ضرب القوميات غير الفارسية في إيران بعضها ببعض، من أجل إضعافها وإحكام السيطرة عليها، وإضعاف الروابط فيما بينها، وإشغالها عن مقاومة العدوان الإيراني على مناطقهم، فعلى سبيل المثال عمدت السلطات الإيرانية منذ احتلال الأحواز العربية سنة ١٩٢٥م، إلى نقل أعداد كبيرة من البختيارية واللور من مناطقهم إلى الأحواز، وتوطينهم فيها على حساب أراضي المزارعين العرب الأحوازيين، الأمر الذي جعل كثيرا من الأحوازيين ينظرون إلى قدوم هؤلاء البختياريين على أنه احتلال لا يختلف عن الاحتلال الإيراني أو الفارسي لبلادهم، ودعوا إلى مقاومتهم ورفع السلاح في وجوههم.

واعتبر بعضُ الأحوازيين البختيارية مؤامرة وأداة من أجل التغيير الديمغرافي في الأحواز المحتلة، وعدّوهم «الأخطر على النضال الوطني الأحوازي إذا ما تمكن العدو الإيراني من استثمارهم». وحذّروهم من أن الشعب الأحوازي سوف يتعامل معهم كما يتعامل مع باقي المستوطنين في الأحواز شأنهم شأن جنود الاحتلال الإيراني. كما أنه «ليس هناك حق للبختياريين أن يتصوروا أن الأحواز ولاية بختيارية».

٢- تشويه صورتهم في الإعلام الرسمي، ومن ذلك عرض قنوات حكومية في إيران في شهر شباط/ فبراير من العام ٢٠١٤م، مسلسلا يدعى «الأرض العتيقة» تدور أحداثه خلال فترة حكم الشاه محمد رضا بهلوي التي استمرت من أربعينيات إلى أواخر سبعينيات القرن الماضي، ويصوّر عائلة بختيارية على أنها فاسدة وحديثة الثراء وملَكية، وأن البريطانيين هم من جعلوا لهذه القبيلة اسمًا وسمعة، ما أدّى إلى قيام البختياريين باحتجاجات في عدة مدن ضد المسلسل، الأمر الذي اضطر السلطات الإيرانية إلى وقفه.

وحول تعامل إيران وإعلامها الرسمي مع بني جلدته، يقول أحد الكتّاب البختياريين، ويدعى سياوش جهانبخش بختياري في مقال له: كنتُ سعيدا جدا عندما شاهدتُ الإعلان عن المسلسل، وكنت أعدّ الأيام حتى يبدأ وأستمتع بمشاهدته على التلفاز، ولكن بعد مشاهدة إحدى حلقاته أصبحتُ بالذهول لأن المحافظة (جهار محال بختياري) تحولت إلى كتلة من الغضب بسبب الشعور بالإهانة والاتهامات التي لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة.

ويضيف الكاتب: نحن شعب لم نطالب يوما بالاستقلال عن الحكومة المركزية في طهران، ودائما ما نقف في الصف الأول للدفاع عن تراب هذه البلاد، كما أننا نتبع المذهب الشيعي الاثنا عشري قبل الحقبة الصفوية وبعدها. والآن وفي ظل الجمهورية الإسلامية نواجه، ومع الأسف الشديد، مثل هذه الاتهامات والإهانة للقبائل البختيارية.

ويشير الكاتب إلى حوادث سابقة مماثلة بالقول: لقد سبق أن وُجهت مثل هذه الإهانات إلى الشعب البختياري في مسلسلات سابقة مثل «القبعة البهلوية» و«مدينة سامان صمصام خان»، وتم تبرير ذلك آنذاك بأن الأمر مجرد تشابه أسماء مع القيادي البختياري المعروف صمصام السلطنة بختياري، إلا أن الأمر في مسلسل «الأرض العتيقة» تجاوز التلميح إلى التصريح، من خلال استخدام صورة علي خان قلي خان سردار أسعد بختياري ...

٣- منعهم من التعلم بلغاتهم الخاصة، كما هو حال بقية القوميات غير الفارسية في إيران.

أهم المراجع

- الأمة في مواجهة الصعود الإيراني، تقرير ارتيادي صادر عن مجلة البيان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- **مواقع:** ويكيبيديا، ميدل إيست أونلاين، شبكة البصرة، أورينت نيوز، الحوار المتمدن، فيتوغيت، تبيان.

المشروع الإيراني الأمريكي المشترك لحكم العرب: ديموقراطيات طائفية تنتج ديكتاتورية الأقلية

طلعت رميح(*) - خاص بالراصد

مثّل الغزو الأمريكي لأفغانستان ثم العراق، عنوانا لتدشين التحالف الأمريكي الإيراني في العلن لأول مرة. وقتها كان ظاهرا أننا أمام توافق مصلحي مؤقت لأجل إزاحة نظم الحكم المعادية لأمريكا وإيران، أو أن إيران قدمت خدماتها لأمريكا لإسقاط نظم تعاديها على حدودها (عدو عدوي صديقي). غير أن الأمر انقلب من بعد ليظهر ملامح تحالف استراتيجي على تقاسم النفوذ والدور والمصالح بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، وعلى طريقة إدارة الصراعات داخل الدول والمجتمعات العربية والإسلامية.

ومن بعد -كذلك- بات مؤكدا أن التحالف هو حلف استراتيجي مستقبلي كامل الأركان، لإعادة تشكيل الدول العربية الإسلامية، وتحديد أنماط حكم ما يبقى منها - بعد الانتهاء من تدمير قدراتها- لتحقيق هيمنة وسيطرة كلا البلدين على السنة عبر عملائهما، وفق مشروع جديد شامل للتغيير في المنطقة.

وهنا تبدو «قضية الديموقراطية» -والعلمانية تحديدا- أحد أهم أسس المشروع الأمريكي، الذي يقوم على رؤية واضحة ومحددة قد تغيرت، ففكرة الديموقراطية وجوهرها من آلية لحكم الشعب حسب أغلبية المصوتين، تحولت إلى أداة مشتركة للتعاون -أو الصراع أيضا- بين الموالين للطرفين الأمريكي والإيراني داخل الدول الإسلامية في مواجهة الحكومات، وإلى أداة لإسقاط الحكومات ولتفكيك المجتمعات وإعادة إنتاج نظم حكم تقوم على تنصيب ديكتاتورية الأقليات أو حتى للصراع بين هؤلاء الموالين، والأصل في هذه الديموقراطية المصنعة في معامل الولايات المتحدة وعبر المفاوضات الأمريكية الإيرانية، هو أنها ديموقراطية تقوم على امتلاك السلاح للمجموعات الشيعية وكافة الأقليات وعلى دعم مجموعات ليبرالية موالية للغرب بالسلاح (كقوى ومجموعات ميلشياوية أو كجيوش حسب كل حالة).

وهنا جاء الاتفاق على العلمانية كنمط وقالب فكري قادر على ضمان حرية حركة عملاء الولايات المتحدة وعلى فتح مساحات محددة للتعايش بين العلمانيين والمعممين -على الأقل في تلك المرحلة- فضلا عن أنه المشروع الثقافي الموحد لجهودهما في تغيير النمط العقائدي والثقافي والقيمي في المجتمعات.

لقد تفاهم الطرفان الأمريكي والإيراني على أمور كثيرة، قبل بداية نزول القوات الأمريكية على أفغانستان والعراق، أو لِنقل إنهم دشنوا تحالفا كبيرا ظهر في البداية وكأنه توافق

(*) كاتب مصري.

مـصالح ضـد حـكـم طالبـان في أفغانـسـتان، وحـكـم صـدام حـسين في العـراق، لإسـقاط الدولـة والنظـام في البلدين.

هـذا مـا سـاد الاعتقـاد بـشأنه وقتهـا، لـكـن الأمـر اتـضح أكثـر في العـراق وأفغانـستان مـن بعـد، إذ صـارت ملامحه تنبئ بتوافـق وتحـالف علـى حـكـم البلـدين بعـد احتلالهمـا عـبر عمـلاء كـانوا مـدربين جـاهزين لأداء هـذا الـدور، ففـي العـراق لم يكتـفِ الطرفـان بـالتوافق علـى إخـراج الجـيش العراقـي مـن سـاحة مواجهـة إيـران والكيـان الـصهيوني دفعـة واحدة.

وفي أفغانـستان لم ينتـهِ الأمـر كـذلك بـإخراج حركـة طالبـان مـن المواجهـة مـع إيـران ومـن مواجهـة المحتـل الأمريكـي، بـل امتـد الأمـر إلى تـشكيل حكـم وآليـات سـيطرة مـشتركة. اتـضح أن التحـالف الأمريكـي الإيرانـي لم يجـرِ ولم يـستهدف طالبـان، بـل أفغانـستان، ولم يـستهدف صـدام، بـل العـراق، وأن الأمريكـان والإيـرانيين توافقـا علـى حكـم البلـدين، إذ جـرى تـشكل الحكـم الجديـد في العـراق وأفغانـستان علـى أسـاس سـيطرة القـوى والمجموعـات الموالية أو العميلة لأمريكا وإيـران حتـى صـرنا أمـام حكـم احـتلال مـزدوج للعـراق وأفغانستان.

ومـن بعـد، ووفقـا لتطـورات مثـل هـذا الـنمط البغـيض مـن حكـم المحـتلين الإيرانـي والأمريكـي لأفغانـستان والعـراق، بـدأ الجميـع يتـابع نمطـا مـن مـشروع أكـبر، وظهـر أن الـدولتين في موضـع التحـالف للحـرب الـشاملة علـى الـسنه. وأنهمـا اعتمـدا سـويا الإطـار الاسـتراتيجي لعمليـة تفكيـك هائلـة لعمـوم الـدول العربيـة والإسـلامية –الـسنية- وفـق آليـات مراوغـة أهـم أسـسها تحويـل الديموقراطيـة إلى أداة تفكيـك للمجتمعـات وإعـادة إنتـاج دول وحـدود جديـدة علـى أسـس عرقيـة وطائفيـة تخـضع كـل منهـا لأحـد الطـرفين، وهـو مـا ظهـر في الممارسة العمليـة مـع اشـتداد الـصراعات وانفلاتهـا لـتعم الإقلـيم. وفي مرحلـة لاحقـة، صـار بنـد العلمانيـة هـو المعطـى في كـل المفاوضـات الجارية لإقـرار قيـام نظـم حكـم في الـدول الـتي شـهدت تجربـة التـدمير الأمريكـي الإيرانـي المنهج المشترك.

كـان الـبعض قـد تـصور أن طـرح الولايـات المتحـدة شـعارات الديموقراطيـة قبـل الربيـع العربـي ولاحقـا مـع تفاعـل هـذا الربيـع، يمكـن أن يكـون مقدمـة يمكـن الإمـساك بهـا لتطـوير أوضـاع الحكـم والمجتمعـات في المنطقـه، لكـن الأحـداث أظهـرت أن المتحـالفين الأمريكـي والإيرانـي – ومِـن خلفهـم روسـيا وحكومـات أوروبـا- أصـحاب فهـم واحـد لتلـك الديموقراطيـة، وأنهـم ينظـرون إليهـا كـأداة لإعـادة إنتـاج الـديكتاتوريات– لـوأد ثـورات وتحركـات الربيـع العربـي- ولمنـع الـسنة مـن حكـم أنفسهم وأنهـا ديموقراطيـة علـى مقـاس القـوى الموالية للولايـات المتحـدة والمجموعـات الموالية لإيـران مـن جهـه أخـرى. وبالدقـة هـي ادوات تعطيـل إرادة الأغلبيـة وتحقيـق الهيمنـة للقـوى الموالية للطـرفين الوحيـدين المـتفقين علـى تلـك الديموقراطيـة منـذ بدايـة احـتلال العراق وأفغانستان.

وهنـا تـأتي ضـرورة العـودة لمحاولـة الفهـم، لمـدى العمـق النظـري للتحـالف الأمريكـي الإيرانـي في المنطقـة، فـنحن لـسنا أمـام تحـالف مـصلحي – وقـتي- بـين الولايـات المتحـدة وإيـران لـتمكين حلفـائهم داخـل المجتمعـات العربيـة مـن الوصـول للحكـم وإحكـام الـسيطرة علـى أجهـزة الـدول فقـط، بـل نحـن أمـام توافـق علـى أسـس نمـط محـدد مـن الديموقراطيـة المـستهدفة منـع الأغلبيـة مـن الـسيطرة علـى الحكـم بـديلا لـنظم الحكـم الـتي تهالكـت، وأداة تجميـل عمليـات الإبـادة لتلـك الأغلبية وغطـاء لتغيير توزعهـا الجغـرافي. ونحـن أمـام علمانيـة تحقـق الـنمط الأخطـر مـن أنمـاط التغـيير الـديني العقائدي والفكري والقيمي والثقافي.

لبنان: شلّ البلاد بأدوات الديموقراطية

كـان لبنـان معمـل اختبـار كـبيرا لمـا يجـري دراسـته وإعـداده أو طبخـه في معامـل ثـم أروقـة الـسياسات والمفاوضـات الأمريكيـة الإيرانيـة،

ليكون نموذجا عاما يجري التوافق على تعميمه في المنطقة.

كان لبنان معمل تجارب لصياغات المفاهيم ولمدى الالتزام بالتوافقات التي يتم التوصل إليها، ولاختبار توازنات القوى وردود الأفعال للطرفين ومن يواليهم في الاقليم، وللأطراف المستهدفة أيضا – بعموم التمثيل السني أيا كان موقعه داخل المجتمعات- وقد جاءت ردود الفعل جميعها داعمة للتوافق الأمريكي الإيراني –بظهور دقة التزام الطرفين بالتوافقات وتنفيذها حرفيا، وبضعف ردود فعل الدول والمجتمعات والقوى والجماعات وكلها من الطرف السني.

ففي لبنان حزب شيعي مسلح، وهو مشارك في اللعبة الديموقراطية الأقرب إلى العلمانية في المنطقة، أو يتغطى بها وهو شكل تحالفا واسعا حوله، وهو على الصعيد الإقليمي يمثل أقوى وأهم نقاط ارتكاز إيران في الإقليم باعتباره الأشد تنظيما وصاحب السبق في الفعل الاستعماري الايراني في الإقليم، كما هو حزب يمكن المراهنه على حمله مثل هذا المشروع وإنجازه في الإقليم بحكم ما لاقاه من غطاء شعبي بحكم المعارك مع إسرائيل.

طالب الأمريكان بنزع سلاحه في البداية – كعملية اختبارية وصراعية- وانتهى الأمر إلى صمت أمريكي على تدخل هذا الحزب بالسلاح ضد السنة في لبنان والإقليم، وبانتهاء استخدام إيران له كورقة صراع مع الولايات المتحدة عبر إسرائيل، بما حدد معادلة لبنان الطائفية وعلى صعيد البناء التعددي الذي كرس آليات الانتخاباب بالتعددية الطائفية المحمية بقوة السلاح. وأصبح نصر الله حاكما للبنان فعليا أو على الأرض، لأسباب وبطرق متعددة، فهو حاكم ومتحكم في لبنان إذا منحته الانتخابات – هو وتحالفه- أغلبية برلمانية، وهو حاكم حتى لو حصل خصومه على الأغلبية، عبر تعطيل عمل الأغلبية الأخرى إن حكمت هي عبر ما سمي بالأقلية المعطلة، وهو حزب يمنحه انفراده بامتلاك السلاح القدرة على فرض ما يريد وعلى مواجهة أي خطر على وجوده أو حلفائه. فصار الحزب هو المهيمن على جهاز الدولة عبر اختراقات عميقه، إلا قليلا.

عطل نصر الله آليات الانتخاب ومنع انتخاب رئيس للبنان، وعطل الحكومات الواحدة تلو الاخرى، فلم يعد يسير شيء فى لبنان إلا إذا وافق نصر الله أو بالأحرى إيران.

هذا النموذج كان الأهم أو كان قاعدة الأساس للتجربة التي ستعم الإقليم، إذ بدأ الحزب وتثبت حين لم يكن التفاوض وخطوط التواصل معلنة بين إيران والولايات المتحدة، وهو حزب خاض صراعا باسم إيران بوضوح ودون مواربة، وحين انتهى الأمر بين الولايات المتحدة وإيران إلى التفاوض العلني والاتفاق الاستراتيجي، كان هو حصان الرهان الذي نشر معالم الحركة الإيرانية في الإقليم تحت عين وبصر القوات الأمريكية، وهنا كانت أخطر الدلالات على ذلك أن لاحظ الجميع ذهاب نصر الله إلى العراق مبكرا جدا، دون أن يعمل ضد القوات الأمريكية، حتى يمكننا القول بأن حركة الحزب ونشاطه وتطورها كانت هي أهم معطى ومؤشر على تطور المفاوضات الجارية بين إيران والولايات المتحدة.

كان نشاط الحزب في العراق – طبيعته وحدوده– أهم مؤشر على طبيعة التحولات الجارية في العلاقات بين إيران والولايات المتحدة، وكان أول إشارة استراتيجية على ازدواجية حالة نصر الله وميلشياته وكان إعلانا بالموافقة الأمريكية على تمدد دور الحزب في الإقليم، وهو ما جرى من بعد –دون اعتراض أمريكي أو إسرائيلي أو حتى مساهمة أمريكية لملاحقة نشاطه- إذ جرى نشر أعماله العسكرية وتوسعتها في سوريا واليمن بل في دول كان يظن أنها حليفة للأمريكان ولا مقايضة عليها مع إيران كدول الخليج.

هنا ظهرت طبيعة التوافقات الأمريكية الإيرانية وطبيعة الطرف السني الذي يجري التحالف ضده،

والأهم أن تجربة نصر الله كشفت النقاب عن أرضية الاتفاق على نمط الحكم المتفق عليه بين الطرفين وآلياته «الديموقراطية»، إذ قدم نصر الله النموذج الأعلى حدة لفكرة الديموقراطية الغطاء أو الديموقراطية التي تنتج ديكتاتورية الأقلية الطائفية، ومدى ارتباط حالة الديموقراطية بوضعية امتلاك السلاح على حساب الدولة. وتلك هي مفردات الحالة التي رأيناها تنتشر وتتوسع من بعد في عموم الإقليم.

العراق: ديموقراطية السيطرة الطائفية بالسلاح

وجاء أمر العراق جاهزا منذ البداية. كانت قد جرت تجربة لبنان وحددت طبائع خطط التحالف الأمريكي الإيراني، ولذا دخل الأمريكان العراق على خلفية مواجهة السني، إذ ضمن الاتفاق والتحالف مع إيران، عزل قطاعات من العراقيين عن مواجهة المحتل.

وكانت البداية أن منعت إيران صدور رد فعل شيعي على الاحتلال، ووفت أمريكا بوعودها وتعهداتها من بعد، إذ أخرجت الجيش العراقي من مواجهة إيران، كما هي لم تسقط الحكم بل أسقطت الدولة العراقية، ليجري البناء الأمريكي الإيراني القائم على توافقات مسبقة دون معوقات.

هنا بدأ الإدراك العربي بطبيعة التحالف أو الحلف الأمريكي الإيراني، وبالدقة بدأت ملامح الوعي العربي في التبلور بمدى عمق التوافقات ووصولها حد التحالف، وقد تطور الوعي لاحقا ليدرك العرب أن هذا التحالف مؤسس للمضي والاستمرار لمرحلة طويلة، إذ هو حدد أسسا لحكم الشعوب العربية التي يجري احتلالها، وليس تحالفا لمرحلة مؤقتة.

كانت البداية بتشكيل مجلس حكم انتقالي ضم مختلف القابلين بالاحتلال الأمريكي والتوافق الأمريكي الإيراني، ودارت الدورة ليكتشف الجميع أن الشعارات الأمريكية حول الديموقراطية ليست إلا نمطا من أنماط تمكين القادمين مع إيران ونفوذها بالسلاح من جهة وبالمجموعات الأمريكية من جهة أخرى. واكتشف الجميع أن الأمريكان عمموا تجربة لبنان على العراق، فحددوا للكرد الرئاسة وللشيعة رئاسة الحكومة (ولها كل الصلاحيات التنفيذية) وللسنه المتعاونين مع الاحتلال رئاسة البرلمان، والأهم أن صار للميلشيات الايرانية حق السيطرة الكاملة على الأرض.

وهكذا تواصلت حياة العراق حتى اكتشف الجميع أن التوافق والتحالف الأمريكي الإيراني واسع وعميق، وأنه شامل لحالة التطهير الديني وتغيير التركيبة السكانية والإبادة الحضارية للمدن والمجتمعات السنية، وكل ذلك تحت عنوان الديموقراطية التوافقية تلك التي ظهر أنها مقيدة بقيود إيرانية وأمريكية، وهو ما ظهر جليا حين نجحت قائمة إياد علاوى وصارت مؤهلة لحكم العراق، فتدخلت إيران والولايات المتحدة لتمنح نوري المالكي مقعد رئاسة الوزراء.

سوريا: التحالف الحرج وديموقراطية السفاح

انتهى أمر العراق إلى تشكيل نموذج متوسع للحالة اللبنانية على أكثر من مستوى، والأهم أنه أنتج تعميقا للتحالف الإيراني الأمريكي، وشدة في وضوح أبعاده وأهدافه، فضلا عمّا شكله من لجان اتصال وتنسيق بين الطرفين تفهم بعضها بعضا وذات تاريخ مشترك.

وإذا كان لبنان لم ينتج إلا ميلشيا نصر الله - بالدرجة الأولى- فقد أنتج العراق عشرات الميلشيات والعصابات الميليشياوية، التي جرت أعمال تشكيلها وتدريبها وتسليحها هذه المرة، تحت الرعاية والرقابة الأمريكية المباشرة.

وهكذا كان العراق جاهزا للانتقال بنموذجه إلى سوريا التي تعرض الحكم فيها لاهتزاز وترنح وشارف على السقوط تحت ضغط الثورة الشعبية التي كانت عنوانا لقرب حكم البلاد وفق مبدأ المواطنة التي تمنح الحكم لمن يحقق الاغلبية. قامت إيران بحشد كل قوتها وميلشياتها من لبنان

والعـراق وغيرهمـا، ودفعـت بهـا إلى سـوريا، ولعبـت الولايـات المتحـدة دورهـا في التغطيـة علـى الحركـه الإيرانيـة، فيمـا كانـت توسـع دورهـا ونفوذهـا وتـشكل مجموعـات تـرتبط بهـا هـي الأخـرى، إذ طـورت أوضـاع الأكـراد ودفعـت بهـا إلى سـاحة مواجهـة الـسنة بـالمعنى الـسوري والإقليمـي، وهكـذا جـرت عمليـة عميقـة لإعـادة تـشكيل التوازنـات والتـوزع الجغـرافي للمجتمـع الـسوري، وهـذا مـا اهتمـت بـه إيـران، وضـمنت الولايـات المتحـدة أن لا تقـوم سـوريا المـستقبل بـدور فـى اسـتعادة أرضـها مـن تحـت الاحتلال اليهودي الصهيوني .. إلخ.

والأهـم أن أظهـرت إيـران والولايـات المتحـدة مـدى التوافـق بينهـا علـى طريقـة حكـم الـسنة مـا بعـد انتهـاء محرقـة القتـل والهـدم المتواصـلة لـسنوات خمـس، فحـين حـل وقـت التفـاوض والحـوار، جـرى طـرح مـشروع ونمـوذج حكـم يحقـق لإيـران بقاءهـا ودورهـا وسـيطرة ميلـشياتها مـع إعـادة إنتـاج الـديكتاتور الـسفاح - كـضمانه لإكمـال مـشروعها- ويـضمن للولايـات المتحـدة مـا أرادت مـن تفكيـك المجتمـع الـسوري وديكتاتوريـة الأقليـات المـسكة بالـسلاح الأمريكـي علـى حـساب الأغلبيـة - الـسنية- ووضـعت قـضية علمانيـة الدولـة كـشرط أول لإعـادة بناء الدولة السورية.

وهكـذا انتجـت الثـورة الـسورية وضـعا وحـشدا شـعبيا ينـشد وضـعا ديموقراطيـا، وتـدخلت إيـران تحـت الحمايـة والمراوغـة الأمريكيـة لتتحـول الثـورة إلى حـرب طائفيـة سـورية وإقليميـة، وينتهـي الأمـر بإعـادة تعـويم الـديكتاتور الـسفاح، وبنـاء دولـة علمانية يسمح فيها لميلشيات إيران بامتلاك السلاح!

ديموقراطية شرعنة الانقلاب فى اليمن

وانـسحب التوافـق والتحـالف الأمريكـي الإيرانـي إلى الـيمن، بعـد أن كـان قـد ترسـخ في لبنـان وصـار صـارخا في حدّتـه ووضـوحه في العـراق ثـم سـوريا، ومـع ذلـك جـاء بأبعـاد جديـدة كاشـفة هنـاك، جـرت عمليـة مبرمجة لتحويل الربيع اليمني إلى كابوس.

وحيـث كـان اليمنيـون يهتفـون بـأحلامهم في الحريـة وانكـشاف غمـة الفـساد المتمثـل في حكـم صـالح ومـن معـه، كـان الإيرانيـون والأمريكـان يفعلـون تحـالفهم هنـاك علـى نحـو عميـق واسـتراتيجي بعيد الأمد، وإن بحذر!

احتـاج إنجـاز الخطـة الأمريكيـة الإيرانيـة وقتـا أطـول، بحكـم طبيعـة التبلـور الـسياسي التعـددي الحزبـي في الـيمن قبـل الثـورة، وبسببه كـان الجمهـور العـام منظمـا ومـؤطرا، ولحـساسية دول الخلـيج تجـاه اللعـب الأمريكـي والإيرانـي في أهـم نقـاط جغرافيـا الخلـيج، إذ الـيمن هـو بوابـة الخلـيج وصـمام أمانـه، وبقعـة إذا اسـتولت عليهـا إيـران تكـون قـد اسـتكملت حـصار جغرافيـا الخلـيج اسـتراتيجيا وهـو مـا تجـسد في مبـادرة الخلـيج للحركـة وطـرح مبـادرة للتوافـق الوطني، لقطع الطريق على الدور الإيراني المباشر.

جـرت الأمـور وفـق محطـات معقـدة، لكنهـا انتهـت إلى مـشروع واضـح المعـالم بـين الفرقـاء اليمنـيين ومقيـد لاحتمـالات عـودة صـالح مـن جهـة واسـتمرار امـتلاك الحـوثيين للـسلاح – إذ انتهـى الحـوار الـوطنى والدسـتور إلى انهـاء تلـك الاحتمـالات- وهنـا اضـطرت إيـران (ومـن خلفهـا الولايـات المتحـدة كمـا ظهـر واضـحا مـن بعـد) عـبر مـن معهـا في الـيمن لاعـلان الانقـلاب المـسلح علـى المبـادرة والـدور الخليجـي وعلـى التوافق الوطني ومجريات الحوار ونتائجه.

كـان اللافـت هـو الموقـف الأمريكـي والأممـي، إذ جـرى تبـادل أدوار بـين الولايـات المتحـدة والأمـم المتحـدة، لـشرعنة الانقـلاب خطـوة خطـوة، بمـا اضـطر دول الخلـيج للتـدخل المـسلح لإيقـاف نجـاح تلـك الاستراتيجية التي صارت واضحة المعالم.

كـان الامـر لافتـا إذ كـان الحوثيـون والإيرانيـون يتحـدثون ليـل نهـار عـن تكـرار نمـوذج حـزب اللّه في الهيمنـة علـى الدولـة وفي امـتلاك الـسلاح خـارج إطـار الدولـة، وعـن مـشروع اسـتنزاف المملكـة العربيـة الـسعودية بالأعمـال العـسكرية، ومـع ذلـك كانـت تجـري شـرعنة سـيطرة الحـوثيين علـى الـسلطة عـبر الولايـات المتحـدة والأمـم المتحـدة، دون رفـض ولـو شكلي!

كـان انقلابـا تحـت مفهـوم الـشرعية الثوريـة، وكـان انقلابـا تحـت عنـوان مواجهـة القاعـدة والإرهـاب، وهـو انقـلاب دغـدغ مـشاعر البـسطاء إذ تحـدث عـن مـضامين اجتماعيـة (رفـض الجرعـة الأولى مـن رفـع الـدعم)، وفي جـوهره كـان انقلابـا طائفيـا وعنوانـا لإقـرار ديموقراطيـة شـكلية لا تقـوم علـى فكـرة المواطنـة بـل علـى نمـط ديكتاتوريـة الأقليـة الـتي تم اعتمادهـا في لبنـان ومـن بعـد في العـراق، بجمـع الأقليـة بـين امـتلاك الـسلاح خـارج إطـار الدولـة واللعـب بآليـات الديموقراطيـة تحـت عنـوان التوافـق، وإلا!

ودخـل الـيمن في أتـون حـرب طاحنـة أعـادت طـرح الأسـئلة حـول نوعيـة تلـك الديموقراطيـة الـتي روجـت لهـا الولايـات المتحـدة، وعـن ذاك العـداء الثـأري والإجرامـي الـذي تحركـت بـه الميلـشيات الإيرانيـة، لكـن الأخطـر أن أبـرزت التجربـة مـدى عمـق التحـالف الأمريكـي الإيرانـي الممتـد علـى طـول المـشروع الإيرانـي في الإقليـم، وكيـف أن هـذا التحـالف قـد تخطـى فكـرة العلاقـات التاريخيـة بـين الولايـات المتحدة ودول الخليج.

وكانـت المفاوضـات الـتي جـرت في الكويـت – بـشكل خـاص- حالـة كاشـفة للتوافـق الأمريكـي الإيرانـي، فبعـد أن ضـغطت الولايـات المتحـدة، ومـن خلفهـا الغـرب والأمـم المتحـدة وفي الخلفيـة إيـران بطبيعـة الحـال، لمنـع اقتحـام قـوات الـشرعية للعاصـمة بمـا ينهـي الانقـلاب ومعـه ظـاهرة الحـوثيين، بـدأوا لعبـة الـضغوط والألاعيـب لمـنح الحـوثيين حـق الـشراكة في الـسلطة دون حـديث عـن حـل ميلـشياتهم المسلحة!

وهـو مـا كـشف النقـاب مجـددا عـن مـشروع تـوافقي بـين إيـران والولايـات المتحـدة في كيفيـة الحكـم ومـن يحكـم وطبيعـة ووضـعية نظـام الدولـة، ومـدى التوافـق علـى تمكـين أتبـاع إيـران مـن الحكـم .. إلخ.

وفي البحـرين: الديموقراطيـة طائفيـة بامتيـاز أمريكي

كانـت تجربـة البحـرين أكثـر مـن كاشـفه هـي الأخـرى وذات دلالات خاصـة بـدورها، بمـا أثـرى الـوعي العربـي حـول طبيعـة التوافـق الأمريكـي الإيرانـي علـى إدارة المنطقـة (طرائـق الحكـم وأسـاليبه وطبيعـة التغـيير الاسـتراتيجي المتفـق عليـه بينهما).

وإذ كـان لافتـا للجميـع مـدى سـيطرة الـشيعة علـى أدوات رئيـسية في الاقتـصاد والمناصـب وفي إدارة الدولـة - فـضلا عـن تمثيلـهم الـسياسي الـديموقراطي عـبر جمعيـات سياسـية في البرلمـان- فقـد جـاء أمـر اللعبـة واضـحا مـن زاويـة الموافقـة الأمريكيـة والغربيـة علـى حكـم الـشيعة للبحـرين كـاملا وبـشكل إقـصائي للحكـم القـائم، الـذي لم يـبرز يومـا أي موقف صدامي أو عدائي مع الغرب ولا مع الشيعة.

أصـبحنا أمـام تكـرار لـنمط تغـيير توجهـات الدولـة والمجتمـع الـذي كـان التطـور الأبـرز في تجربـة العـراق ومـن بعـد في الـيمن، إذ لا يعـاني شـيعة البحـرين مـن أي أعمـال إقـصائية بـل هـم في وضـع الـسيطرة في كثير من المجالات!

لقـد كـان بإمكـان الـبعض الحـديث عـن أن شـيعة العـراق تعرضـوا لظلـم هنـا أو هنـاك، بـل حتـى كـان بالإمكـان القـول بـأن حروبـا سـتا جـرت في الـيمن بمـا يتطلـب حـلا آخـر، مـع أنهـا جميعـا جـرت بفعـل إجرامـي مـن الحـوثيين وإيـران ومـن صـالح الـذي جعـل الجـيش الـيمني حقـل تجـارب وإنمـاء لقـوة الحـوثيين، لكـن أمـر شـيعة البحـرين لـيس علـى هـذا النحـو أو ذاك، بغـض النظـر عـن هـذه المـزاعم أو تلـك، فـشيعة البحـرين وفـق إقـرار كامـل بالإحـصائيات والأرقـام، يتمتعـون بوجـود ونفـوذ ودور كـبير يطغـى علـى دور الـسنة في كافـة المجـالات، حتـى قيـل إن الـسنة هـم المـضطهدون في البحـرين، بينمـا يتمتـع شـيعة البحـرين بتمثيـل سياسـي وبرلمـاني كـبير ولهـم الحريـة الزائـدة في ممارسـة طقوسـهم فـضلا عـن لعـبهم دور رئـيس في مؤسـسات الدولـة، ومـع ذلـك جـرى كـل مـا جـرى

مدعوما من إيران وتحت رعاية إعلامية ودبلوماسية من الولايات المتحدة والغرب، بما يشير إلى مشروع شامل للتغيير في المنطقة تنفذه إيران وتدعمه الولايات المتحدة، التي صار إعلامها –والغرب عموما– في موقع المدافع عن شيعة البحرين وحقوق الإنسان، بشأن قضايا لا تمت لها بصلة، فيما السنة في سوريا والعراق وحتى في اليمن في موقع الإبادة الشاملة ليس فقط بصمت أمريكي وغربي، بل بدعم عسكري أمريكي – غربي شامل.

في البحرين ظهر أن الهدف هو إحداث تغيير طائفي وإعادة رسم خريطة الخليج، وتحقيق الهيمنة لإيران في الإقليم، وتحت عنوان الديموقراطية، إذ كان الدعم الأمريكي والغربي ظاهرا – بل لافتا للنظر– في التصريحات وفي تقارير الأمم المتحدة، والأهم كان الصمت على الممارسات الإرهابية التي جرت من قبل مجموعات إيرانية عملت وتعمل لإحداث هذا التغيير بالقوة، وهنا الدلالة الأخطر على موافقة وتوافق الولايات المتحدة مع إيران على فكرة الديموقراطية التي تحقق ديكتاتورية الأقلية وعلى تطوير الأوضاع لإيصال تلك الأقلية حد امتلاك السلاح وإحداث التغيير الانقلابي على نمط نصر الله.

وبسبب تلك المعادلة الغربية صار كثرة من المحللين يتحدثون عن ما يخسره شيعة البحرين جراء أعمال العنف والتفجير، وكيف أنهم يخوضون معركه مفتعلة لغير مصلحتهم بل ضد مصلحتهم، إذ ما يجري ليس إلا تضحية بمصالحهم لأجل استعادة إيران لحلم بناء الامبراطورية الفارسية الذين هم أول ضحاياها.

أوان قراءة مشروع جديد للمواجهة

حان أوان تقديم قراءة ورؤية للمواجهة، لقد مرت فترة طويلة كانت المواجهة فيها مجرد حالة عفوية أو تلقائية، وخلالها كان يجري التعرف التدريجي على مخطط التحالف الأمريكي الإيراني، بحكم افتقاد العرب أو السنة للقيادة الجامعة أو القادرة على القراءة المدققة وتشكيل خطط مكافئة للخطط التي يجري إنفاذها. وقد تحقق الآن الشرط الأول للقدرة على المواجهة وهو الوعي الشامل بخطوط الصراع وخططها.

والآن يشهد العالم العربي والإسلامي بداية انكسار دورة المواجهة القديمة، ففي لبنان تظهر الانتخابات البلدية أو المحلية الأخيرة، وضوحا في الرؤية وتحركا أكثر وعيا بطبيعة المواجهة. وفي سوريا يلمس المتابعون وعيا متناميا وحالة اقتراب بين قوى عديدة على أرضية مواجهة أشد وعيا، وفي العراق أظهرت الحرب على الفلوجة وعيا وإدراكا بطبيعة الحرب الأمريكية الإيرانية مع سقوط تدريجي لورقة الترويع باسم داعش، وهكذا الحال في اليمن، اذ اقتربت قوى كثيرة من الشرعية على أرضية فهم المخطط الأمريكي الإيراني، وعلى أرضية المواجهة الأكثر وعيا. وهكذا الحال في ساحات كثيرة، لعل أهمها ما جرى في دول الخليج من احتشاد شعبي ومن وعي رسمي بالخطر.

والأهم أن المواجهة صارت تنتج حالة من الصمود للكتل المجتمعية السنية رغم هول التضحيات التي قدمتها كما هو حال مدن مثل حلب وداريا وغيرها في سوريا والفلوجة وغيرها في العراق وتعز وعدن وغيرها في اليمن، غير أن المواجهة المخططة الشاملة ما تزال في بداياتها.

تنظيم الأسرة عندما يكون غطاءً للانحلال الأخلاقي؟

فاطمة عبد الرؤوف[*] – خاص بالراصد

القارئ لوثيقة السيداو سيكتشف أنها وثيقة متماسكة مترابطة فجميع المواد تعمل معاً بتناغم ووحدة موضوعية وليست عناصر مفككة أبداً، فلا ينبغي النظر إلى مادة بمعزل عن باقي المواد، فعندما تناقش المادة ١٢ من الاتفاقية قضية تنظيم الأسرة والخدمات المتعلقة والمرتبطة بالصحة الجنسية والإنجابية لا يمكن فهم هذه المادة بعيداً عن المادة ١٠ التي نصت في فقرتها (و) (على إمكانية الحصول على معلومات تربوية محددة تساعد على كفالة صحة الأسر ورفاهها، بما في ذلك المعلومات والإرشادات التي تتناول تنظيم الأسرة).

فإذا كان الطلاب المراهقون يدرسون المعلومات والإرشادات المتعلقة بتنظيم الأسرة فإن توفير هذه الوسائل بشكل عملي في الواقع أمر مرتبط به، فلا مجال للشك أن هذه الفئة تحديداً من المراهقين غير المتزوجين مستهدفة من واضعي الوثيقة، وهو ما أوضحته منظمة الصحة العالمية حيث ذكرت أن من فوائد تنظيم الأسرة: خفض معدلات حمل المراهقات حيث (يفوق احتمال إنجاب المراهقات الحوامل لأطفال لم يكملوا فترة النمو داخل الرحم أو أطفال ناقصي الوزن عند الميلاد احتمال إنجاب غيرهن لأولئك الأطفال. وتفوق معدلات وفاة أطفال المراهقات عند الميلاد معدلات وفاة الأطفال الآخرين. ويضطر كثير من المراهقات اللائي يحملن إلى التخلي عن الدراسة، ممّا يؤدي إلى عواقب طويلة الأجل تتحمّلها تلك الفتيات شخصياً وتتحمّلها أسرهن ومجتمعاتهن المحلية)[1].

فإذا كان زواج المراهقات محظورا وفقا لهذه الوثيقة ووثائق أخرى، فإن حمل المراهقات المقصود هنا لن يكون إلا سفاحا، وبالتالي فلا بد من وسيلة مأمونة لتجنب هذا الحمل!!

إن منظمة الصحة العالمية تصرح بحق الناشطين الجنسيين بمن فيهم المراهقون في الوصول السهل لخدمات تنظيم الأسرة (من الأهمية بمكان إتاحة خدمات تنظيم الأسرة على نطاق واسع حتى يتسنى وصول أي شخص ناشط جنسياً، بمن فيهم المراهقون، إليها بسهولة من خلال القابلات وغيرهم من العاملين الصحيين المدربين. ويتم تدريب القابلات على توفير - حيثما يؤذن لهن- وسائل منع الحمل المتاحة محلياً والمقبولة ثقافياً. ويقوم كذلك غيرهم من العاملين الصحيين المدربين، على سبيل المثال العاملين في مجال الصحة المجتمعية، بتقديم المشورة وبعض وسائل تنظيم الأسرة، على سبيل المثال حبوب منع الحمل والواقي الذكري. أما بالنسبة لطرق مثل التعقيم، فينبغي إحالة النساء والرجال إلى الطبيب)[2]، وهناك نصوص أخرى تشير فيها إلى التحدي الذي يواجه غير المتزوجين في الحصول على مثل هذه الوسائل.

كما تعمل هذه المادة ١٢ جنبا إلى جنب مع باقي المواد التي تدفع المرأة للعمل المأجور خارج المنزل، فالعمل يوفر للمرأة الاستقلال الاقتصادي عن الأسرة ويشعرها بعدم الحاجة للزواج، ومنع الحمل يؤكد هذه الاستقلالية، وهذا التفسير ليس تعسفا بل هو معروف منشور وإن أنكرته النسويات في بلادنا ومن ذلك (اجتماع الخبراء الذي عقد في بتسوانا عام ١٩٩٢م للترتيب لعقد مؤتمر السكان العالمي الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤م وأوصى

(*) كاتبة مصرية.

(١) نقلا عن موقع منظمة الصحة العالمية:
http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs351/ar

(٢) المصدر السابق.

ضمن توصياته بأن حصول المرأة على مورد رزق مستقل خارج الأسرة يوفر لها التحرر الاقتصادي وأن اشتراك النساء في القوى العاملة هو العامل الأساسي في تقليل الخصوبة وأن العمل يشجع المرأة على الشعور بعدم الحاجة للزواج، ولوحظ في الدول الصناعية أنه كلما كثر عدد النساء العاملات قلّ معدل الخصوبة؛ بسبب قيمة وقت الأم وأهدافها الشخصية وطموحاتها)[1].

وهذا هو نص المادة ١٢:

(١- تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان الرعاية الصحية من أجل أن تضمن لها، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة، الحصول على خدمات الرعاية الصحية، بما في ذلك الخدمات المتعلقة بتنظيم الأسرة.

٢- بالرغم من أحكام الفقرة ١ من هذه المادة تكفل الدول الأطراف للمرأة خدمات مناسبة فيما يتعلق بالحمل والولادة وفترة ما بعد الولادة، موفرة لها خدمات مجانية عند الاقتضاء وكذلك تغذية كافية أثناء الحمل والرضاعة).

ما هو التمييز الذي يمكن أن يقع على المرأة في مجال الرعاية الصحية؟ هل هناك علاج لأمراض القلب ذكوري فقط ولا يمكن تقديمه للإناث مثلا أم أنه يوجد ثقافة على ظهر الأرض تمنع النساء من التداوي المقصود من هذه المادة هو ما تم توضيحه في المادة نفسها بالخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة؟

جاء في تفسير لجنة المرأة بالأمم المتحدة لهذه المادة ما يلي: «تعتبر قدرة المرأة على التحكم في خصوبتها أمرًا أساسيًّا لتمتعها بكامل مجموعة حقوق الإنسان، ويتعين بذلك على الدول الأطراف أن توفر لها المعلومات والتوعية بأساليب تنظيم الأسرة المناسبة، والمُعتمدة طبيًّا، وتكون القوانين المتصلة بتقييد حصول المرأة أو استخدامها لها- على سبيل المثال: اشتراط الحصول على إذن سابق من الزوج أو القريب كشرط أساسي لتقديم الخدمات- منافية لهذه المادة، ويجب بالتالي تعديلها، وعلى الدول الأطراف أن تتأكد أن العاملين في مجال الطب، وكذلك المجتمع على علم بأن مثل هذا الإذن غير مطلوب، وبأن مثل هذه الممارسة منافية لحقوق المرأة»[2].

قدرة المرأة في التحكم في خصوبتها هي فرع من تحكم المرأة في جسدها وهي أحد مبادئ الفلسفة الكامنة وراء هذه الوثيقة، فإذا كانت المراهِقة لا تمنع من النشاط الجنسي وتيسر لها المعلومات والأدوات اللازمة لمنع الحمل فإنه من البديهي ألا يسن قانون يشترط إذن زوجا أو قريبا لاستخدام هذه الأدوات حتى المرأة المتزوجة زواجا شرعيا يقرر لها هذا الحق أن تتخذ وحدها ودون اتفاق مع زوجها الحق في منع الحمل أو إجهاضه، كما سيأتي في مواد لاحقه.

لم تتحفظ أي من الدول العربية على المادة ١٢ المتعلقة بتنظيم الأسرة، وسعت في تطبيقها بجهد كبير مدعومة من المنظمات الدولية التي أخذت على عاتقها التكلفة الاقتصادية لوسائل منع الحمل على أن يقوم الشريك المحلي بنشر ثقافة تنظيم الأسرة على أن الفقرة ٢ من المادة ١٢ التي تتحدث عن تغذية مناسبة للأم الحامل وخدمات مجانية لم تجد مثل هذا الدعم بالطبع فكل ما تحصل عليه المرأة الحامل هو التطعيم وبعض أقراص من فيتامين الحديد لمنع الأنيميا وهو من أسوأ أنواع الأدوية حيث أن هناك عناصر أخرى ينبغي دمجها مع الحديد من أجل صحة الأم الحامل ناهيك أنه طبعا لا تحصل على الكالسيوم اللازم

---

(١) هدى عبد المنعم، دراسة الوثائق الدولية من جوانبها المختلفة: اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو).

(٢) نقلا عن اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) CEDAW رؤية نقدية .. من منظور شرعي.

لسلامتها وسلامة الجنين، أما الحصول على وجبات تغذية للأمهات الفقيرات فهو مجرد وهم.

تحتل السودان أقل نسبة عربية لاستخدام وسائل تنظيم الأسرة بنسبة ١٢ ٪ بينما احتلت المغرب أعلى هذه النسب حيث وصلت لـ ٦٧٪ وهذه هي نسب انتشار وسائل تنظيم الأسرة في بلادنا العربية للشريحة العمرية من ١٥ - ٤٩ سنة مأخوذة من إحصائية نشرها البنك الدولي:

الأردن ٦١ ٪، الجزائر ٥٧ ٪، اليمن ٣٤ ٪، السودان ١٢ ٪، فلسطين ٥٧ ٪، العراق ٥٣٪، المغرب ٦٧ ٪، تونس ٦٣ ٪، جزر القمر ١٩ ٪، مصر ٥٩ ٪، عمان ٣٠ ٪، قطر ٣٨ ٪.[١]

فلو أخذنا دولة كبيرة مثل مصر سنجد أن نشاط تنظيم الأسرة يأخذ زخما كبيرا، وعلى الرغم من انتشار تعبيرات إعلامية مطاطة مثل أنها دعوة لتنظيم النسل وليس تحديد النسل إلا أن التصريحات تكشف حقيقة المطلوب حيث أكد الدكتور عاطف الشيتاني، رئيس قطاع السكان وتنظيم الأسرة بوزارة الصحة، أن محافظة الإسكندرية وصلت للمعدل المطلوب، في خفض معدلات الخصوبة، لدى السيدات بـ ٢,٢ طفل لكل سيدة. وأضاف الدكتور الشيتاني، خلال مؤتمر إطلاق الحملة الإعلامية لبرنامج السكان وتنظيم الأسرة، أن الاستراتيجية القومية للسكان تستهدف خفض الخصوبة لدى السيدات لـ ٢,٤ طفل لكل سيدة، مشيرا إلى ضرورة التنسيق مع جميع الهيئات للحد من المواليد)[٢].

الحد من المواليد للوصول لمعدل ٢,٤ هذا ما يصرح به رئيس قطاع تنظيم الأسرة بوزارة الصحة المصرية، هذه الخدمات التي تقدم في ٥٥٠٠ وحدة طب أسرة واهتمام خاص بالمناطق الريفية حيث أن هناك جيشا مكونا من ١٤ ألف رائدة ريفية تطرق الأبواب للتوعية بتنظيم الأسرة، بالإضافة إلى ٦ آلاف مرشدة صحية تابعة لمنظمات المجتمع المدني يقمن بالدور ذاته، ومن المعلوم أن العاملين في قطاع تنظيم الأسرة هم أكثر العاملين الصحيين حصولا على مكافآت وحوافز تشجيعية حتى بات يحسدهم باقي القطاعات.

ولو أخذنا دولة محافظة مثل اليمن لنتبين مدى نجاح برامج تنظيم الأسرة فيها سنجد أن (نسبة انتشار وسائل تنظيم الأسرة والتي خطط لها أن تغطي ٣٥٪ من المستهدفات بحلول عام ٢٠٠٠م لم تتحقق إلا بنسبة ١٥٪ من المستهدفات) الجدير بالذكر أنه في اليمن يتم استخدام مصطلح رعاية الأسرة بدلا من تنظيم الأسرة حتى يحدث حالة من القبول المجتمعي بعيدا عن المصطلح سيء السمعة بالنسبة للمجتمع اليمني.

أما في المغرب والتي هي أعلى دولة عربية في معدل استخدام وسائل تنظيم الأسرة فهناك جدل مجتمعي واسع للتقارب مع ما تدعو إليه الوثيقة حيث هناك جرأة في طرح الأفكار، يكفي في هذا الصدد أن نعرض لأفكار الدكتور عبد الصمد الديالمي أستاذ علم الاجتماع التي يعرضها في الصحف والمؤتمرات ولطلابه في كلية الآداب ومنها دعوته للعلماء السماح بإباحة الجنس بدعوى توافر وسائل منع الحمل التي تضمن ما اصطلح عليه الديالمي «الأمن السلالي».

ودعوته بالسماح بالإجهاض بدعوى حرية المرأة التصرف في جسدها مما دفع مصطفى بن حمزة، رئيس المجلس العلمي بوجدة أن ينفعل عليه في أحد المؤتمرات قائلا: «الجاهل ولا يعرف شيئا في الفقه الإسلامي» هذا الجدل الفكري وهذه الأطروحات الشاذة المرتبطة بفكرة شيوع وسائل منع الحمل ومن ثم إطلاق حرية العلاقات الجنسية دون زواج، وعلى الرغم من ذلك فإن المجتمع المغربي يئن تحت ضغط انتشار ظاهرة الأمهات العازبات لتسجل أرقاماً غير مسبوقة.

---

(١) نقلا عن موقع البنك الدولي
http://data.albankaldawli.org/indicator/SP.DYN.CONU.ZS
(٢)http://www.youm7.com/story/2016/1/17/%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%D8%AE%D8%AF%D9%85%D8%A7/2542292

وتوضح الأرقام المتوافرة أنه يتم تسجيل نحو ٣٠ ألف حالة سنوياً، غالبيتهن من الشابات اللواتي لم يسبق لهن الزواج واللاتي تقل أعمارهن عن ٢٦ سنة. بل إن ٣٢ ٪ منهن ما بين الـ ١٥ والـ ٢٠ سنة مما يعني أن ثقافة السيداو وجدت متنفساً نسبياً في البيئة المغربية وإن لم تنجح جميع تقنياتها كآلية منع الحمل في التقليل من الآثار المجتمعية لها.

اللوبي الإيراني في أمريكا والثورة السورية: نماذج من المواقف والأطروحات

عبد الله الرحمون[*] – موقع مركز إدراك[1]

من المعلوم أن لجماعات الضغط أو اللوبيات Lobbies في أمريكا حظوة معتبرة، وتحاول الإدارات الأمريكية المتعاقبة الموازنةَ بينها قدر الإمكان، فهناك اللوبي الاسرائيلي ولوبيات السلاح ولوبيات الأدوية واللوبي الكوبي واللوبي الإيراني (محط دراستنا)، ولكل منها أهدافها واستراتيجياتها وتحالفاتها وصراعاتها.

وعلى الرغم من الموازنة وضبط النغمة التي يحاولها كل رئيس أمريكي، فلا بد أن يكون لكل لوبي ميزة على آخر عند مختلف الرئاسات الأمريكية. ففي عقيدة أوباما، نرى انزعاج إدارة أوباما من مراكز الدراسات المتواجدة في إحدى شوارع ماساشوستيس بأنها «أرض محتلة عربياً» دلالةً على المراكز التي يقوم اللوبيات العربية بدعمها وتمويلها، ودلالةً على أن إدارة أوباما لا ميل لها إلى ما يسمى «اللوبي العربي».

قد قامت الـ BBC NEWS بتلخيص دراسة نشرتها مجلة Politics on Perspectives التابعة لـ Journals Cambridge، حاولت تحليل نظريات السياسة الأمريكية. إذ تستنتج الدراسة أن نموذج الحكم الأمريكي ليس ديمقراطياً بالمعنى الحقيقي إنما حكماً أقلوياً بالمعنى العملي، لكن «حكم الأقلية» هذا ليس هو المفهوم المعروف في دراسات النظم السياسية، إنما هو «حكم اللوبيات» التي تحوز على الثروة والمال والنفوذ والعلاقات. **وقد قامت الدراسة بتحليل المتغيرات اعتماداً على بيانات كبيرة وخرجت بنتيجة مفادها أنّ المجموعات الصغيرة (أو اللوبيات) لها تأثير أكبر من الجماهير (أو مجموعات العمل المدني التي تمثل الجماهير) على صناعة السياسات وتوجيه القرارات المعنية بالشأن الداخلي أو الشؤون الخارجية.**

يمكننا أن نعتبر أيضاً أنَّ شركات التقنية الكبرى هي شكل آخر من أشكال اللوبيات، وذلك بأثرها المتجاوز إلى السياسات والتشريعات المتعلقة بالشأن العام. فعلى سبيل المثال، تقدمت ٣٧٩ شركة إلى المحكمة الدستورية العليا لدعم المساواة بين الأزواج وذلك لتشريع زواج المثليين، منها مايكروسوفت وآمازون وآبل وفيس بوك وغوغل. وفي تقرير طويل نشرته صحيفة بوليتيكو، أثبت مجموعة باحثين إمكانية أن تتلاعب شركة غوغل بالانتخابات الرئاسية، وأنها قادرة على دفع ملايين الأصوات إلى مرشح دون أن يعلم أحد، وذلك من خلال القرارات السرية للشركة وتلاعب بسيط بالخوارزميات البحثية.

تحاول هذه الدراسة إثبات أن البيت الأبيض في زمن الرئيس أوباما مخترق بشكل كبير من طرف اللوبي الإيراني، فكما سنبين مفصلاً فأن أحد أهم مستشاريه في الملف الإيراني وفي مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض هو الإيرانية - الأمريكية سحر نوروزاده. بالإضافة إلى فريال كواشيري وهي كاتبته الخاصة ومساعده الإداري ومن الأشخاص القريبين جداً من الرئيس أوباما،

(*) كاتب .

(١) حذفنا الهوامش لضيق المساحة وهي موجودة في موقع مركز إدراك.

وعملت في الفترة الرئاسية الأولى لرئاسته مستشارة في مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض أيضاً، بالإضافة إلى أنها عضوة في إحدى مؤسسات اللوبي الإيراني «مؤسسة المرأة الإيرانية الأمريكية».

أقطاب اللوبي الإيراني في الولايات المتحدة

لأننا نحاول في هذه الدراسة استنكاه مواقف اللوبي الإيراني في أمريكا من الثورة السورية، فإننا سنبدأ بتوصيف هذا اللوبي والتعريف بأعضائه وخلفياتهم. بعض هؤلاء الأعضاء يعملون معاً تحت راية «المجلس القومي الإيراني الأمريكي»، والذي سنتحدث عنه في سياق حديثنا عن مؤسسه ورئيسه ورئيس قسم الأبحاث فيه رضا مراشي، والبعض الآخر يعمل بشكلٍ منفصل ويقدم رؤية إيرانية ذاتية.

فالدراسة لن تكون بذلك دراسةً عن اللوبي الإيراني في أمريكا، بقدر ما هي تتبُّع لنماذج من أطروحات هؤلاء ومواقفهم حول الملف السوري.

- تريتا بارسي *Trita parsi*

إيراني الأصل سويدي الجنسية، ولد في أحواز إيران بتاريخ ٢١/٧/١٩٧٤م. يحمل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة جون هوبكنز، وكانت أطروحته عن العلاقات الإيرانية الاسرائيلية، أشرف عليه فيها المفكر الأمريكي الشهير فرانسيس فوكوياما. وهو أيضاً مؤسس ورئيس «المجلس القومي الإيراني الأمريكي» الذي سنأتي على ذكره بالتفصيل، عمل بارسي في مجلس الأمن مستشاراً لشؤون أفغانستان والعراق وطاجيكستان. يكتب في الكثير من الصحف العالمية كصحيفة وول ستريت ونيويورك تايمز وفاينيشيال تايمز. وقد ألف كتابين، الأول هو «التحالف المخادع: التعاملات السرية بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة»، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية. الثاني هو كتاب «فرصة واحدة: دبلوماسية أوباما مع إيران»، وقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية تحت عنوان «إيران والمجتمع الدولي».

في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩، وعندما كان محمد خاتمي رئيساً لإيران، حضر تريتا بارسي مع الإيراني الأمريكي سيماك نامزي مؤتمراً في قبرص كان بعنوان «الحوار والفعل بين شعبَي إيران وأمريكا». وقدما معاً ورقة تأسيسية عنوانها «إيران وأمريكا: جسور التواصل بين شعبين»، التي طرحا فيها مقترحات لإعادة بناء العلاقة بين أمريكا وإيران. بعد تقديم هذه الورقة بعامين، في عام ٢٠٠١، واستثماراً لحادثة ٩/١١ أسسا معاً «المجلس القومي الإيراني الأمريكي»، الذي يمكن القول أنه مكون أساسي من مكونات اللوبي الإيراني في أمريكا، فخرج تريتا بارسي إلى السطح رئيساً ومؤسساً للمجلس، وبقيَ «سيماك نامزي» في الخلف لاعتبارات ليس هنا مقام الحديث حولها.

- رضا مراشي *Reza Marashi*

عضو تأسيسي في «المجلس القومي الإيراني الأمريكي»، ورئيس قسم الأبحاث فيه و«مستشار» لكثير من الدول الغربية فيما يتعلق بإيران. قبل أن ينضم إلى المجلس عمل مراشي في مكتب شؤون إيران في الخارجية الأمريكية مدة أربع أعوام. كما يقوم بالكتابة في العديد من الصحف الهامة كالفورين بوليسي والفورين أفيرز. تقاطع رضا مراشي مع تيرتا بارسي بعلاقته مع عائلة نامزي، العائلة الإيرانية الأمريكية الثرية، والتي تتحدث معلومات أنها تقوم بتمويل المجلس، ولها صلة وطيدة بالرئيس الحالي حسن روحاني.

في السيرة الذاتية لرضا مراشي والموجودة في موقع المجلس الإلكتروني، يتحدث رضا عن عمله في الخارجية الأمريكية كما أشرنا، والذي كان منصبًّا في مكتب شؤون إيران على قضيتين مركزيتين: الديمقراطية وحقوق الإنسان في إيران. كما تتحدث بعض الصحف عن معلومات تتعلق بعمله، قبل التحاقه بمكتب شؤون إيران في الخارجية الأمريكية، باحثاً في معهد الدراسات الاستراتيجية القومية في جامعة الدفاع القومي، التابعة للبنتاغون. الالتقاء الذي دار بين مراشي وبين

بارسي عن طريق عائلة نامزي التي عمل عندها مراشي كخبير استراتيجي حتى عام ٢٠٠٦م.

- *سحر نوروزاده Sahar Nowrouzzadeh*

إيرانية أمريكية، خبيرة في السياسة الخارجية، ورئيسة قسم إيران في مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض تحت إدارة أوباما. نالت نوروزاده الإجازة الجامعية في العلاقات الدولية من جامعة جورج واشنطن، وشهادة الماجستير في الدراسات الفارسية في جامعة ماريلاند. عملت قبل ذلك محللة للشؤون الخارجية في وزارة الدفاع الأمريكية، وعملت في مكتب الشؤون الخارجية في الخارجية الأمريكية. وهي أحد أعضاء المجموعة التي كان مسؤولةً عن المفاوضات بين الولايات المتحدة وإيران فيما يتعلق بالملف النووي. نوروزاده تنكر علاقتها بـ«المجلس القومي الإيراني الإمريكي»، لكن بعض الصحف العالمية تؤكد عملها تحت لواء اللوبي الإيراني الذي يمثله المجلس القومي.

- *سيد حسين نصر Seyyed Hossein Nasr*

فيلسوف إيراني مسلم يعيش في الولايات المتحدة، ولد في طهران بتاريخ ١٩٣٣/٤/٧م، وهو أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جورج واشنطن. سيد نصر هو والد «ولي نصر» الأكاديمي الشهير ومستشار الخارجية الأمريكية ومؤلف كتاب «نهوض الشيعة». لنصر الأب عدة كتب في مجالات متعددة كمقارنة الأديان والتصوف وفلسفة العلم. ليس لسيد حسين نصر علاقة مع نظام ولي الفقيه (ولا أدلة على علاقة صدامية بينهما أيضاً)، وذلك لسابق علاقته وعمله مع الشاه إذ كان ذا منصب ثقافي في ديوان الملكة فرح ديبا الزوجة الثالثة لشاه إيران محمد رضا بهلوي. يقف سيد حسين نصر موقفاً من الثورة السورية، سنشير إليه لاحقاً، دلالةً على تطابق رأيه مع رأي اللوبي الإيراني (شبه الرسمي).

- *ولي رضا نصر Vali Nasr*

أمريكي من أصول إيرانية، والده الفيلسوف المسلم سيد حسين نصر كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، ولد في طهران عام ١٩٦٠/١٢/٢٠م. حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا عام ١٩٩١م. وهو زميل بارز في الفورين بوليسي وفي معهد بروكينغز، وقد وصفته مجلة الـ Economist بأنه: «مرجع عالمي للإسلام الشيعي». عمل سابقاً في الكثير من المعاهد الهامة في جامعات أمريكية عريقة كجامعة هارفرد وجامعة ستانفورد وجامعة كالفورنيا، يعمل الآن عميد قسم العلاقات الدولية العليا في مدرسة جونز هوبكنز في واشنطن، بالإضافة إلى أنه عضو دائم في مجلس العلاقات الخارجية.

الخطوط العريضة لمواقف اللوبي الإيراني من الثورة السورية

يمكن تلخيص موقف اللوبي الإيراني في أمريكا من الثورة السورية أو الملف السوري بخطين عريضين رئيسين سنتحدث عنهما بشيءٍ من التفصيل، وذلك بإضفاء بعض الأمثلة من الأطروحات والمواقف:

١- ١ الدفع نحو الحل السياسي

وهو موقف الإدارة الأمريكية ذاته، وليس من دلائل أيِّ الطرفين أقنع الآخر بالحل السياسي، فهل الإدارة الأمريكية تأثرت بطرح اللوبي الإيراني المتقدم حول الحل السياسي، أم كيَّف اللوبي الإيراني نفسه مع خيارات الإدارة الأمريكية؟! نحن نرى حديثاً متقدماً زمنياً في ٢٠١٢/١٠/١٤م لرئيس قسم الأبحاث في «المجلس القومي الإيراني الأمريكي، رضا مراشي، في لقاء له مع قناة الجزيرة الأمريكية، حيث أكد نقطتين: الأولى حينما قال: إنه «وإن كان موقف إيران في سوريا ليس إيجابياً، فإنها في موقع لا يمكن تجاوزه، إن تم الحديث عن التفاوض أو الحل. إنها ليست من الدول التي تحلّ المشاكل، لكنها دولة لا يمكن حل المشكلة من دونها». والنقطة الثانية هي قوله: إننا « لا نعرف ما هي النتيجة النهائية للحل في

سوريا إلا حينما تجلس إيران للتفاوض».

تريتا بارسي بدوره، وبتاريخ متقدم أيضاً، كتب مقالة في رويترز، يتسأل «ماذا حدث للحل الدبلوماسي في سوريا؟»، وهي مقالة تبحث الرد الأمريكي المحتمل على استخدام الأسد السلاح الكيميائي في غوطة دمشق. يقول فيها: «هل تم فعلاً طرق كل الأبواب قبل توجيه ضربة عسكرية لنظام الأسد؟»، ثم يجيب بأن «أوباما يخيّر الشعب الأمريكي بين خيارين خطيين خاطئين: إما نضرب عسكرياً أو أن لا نفعل شيئاً». يبدو أنه من الواضح، كما يقول، «أن الحل السياسي أو الطرح التفاوضي لم يوضع ضمن الخيارات على طاولة الرئيس الأمريكي». سنعدد هنا وجوه «الحل الدبلوماسي» الذي يطرحه بارسي:

١- «إذا كانت مسؤولية الولايات المتحدة التدخل في سوريا، بما تمليه عليها قيادتُها للعالم وقيمُها، فإن هذا التدخل كان يجب أن يكون منذ عامين تدخلاً دبلوماسياً، لا عسكرياً».

٢- «إن كل الجهود الدبلوماسية التي قامت بها إدارة أوباما حتى الآن، هي محاولة الضغط على روسيا من أجل (توبيخ) الأسد، لا من أجل إيجاد حل نهائي للأزمة».

٣- «إن من الواضح حتى اللحظة أن الأسد ليس ضعيفاً كما كانت تعتقد الإدارة الأمريكية، وليس قوياً ليتمكن من إنهاء الاحتجاجات أو الفوز بالحرب. إن هناك طريقاً مسدوداً، وهذا يعطي بيئة جيدة لإمكانية إيجاد حل دبلوماسي يوقف إطلاق النار».

٤- «إن أي ضربة تأديبية للأسد ربما تعيد الثقة أو الهيبة لخطوط أمريكا الحمراء، لكن هيبة القيادة الأمريكية لن يتم إعادتها إلا بالطريق الدبلوماسي، الذي يوقف الحرب ويؤسس لعملية سياسية».

وفي مقالة سابقة أيضاً كتب بارسي تحت عنوان «لماذا الآن هو الوقت المناسب للدبلوماسية في سوريا؟!»، أنه «لا يبدو أن هناك حلاً للأزمة السورية في القريب المنظور، ولا يبدو أن هناك سلاماً طويلاً على الأرض. لكن يبدو أن الوقت حان من أجل تخفيف العنف وإيقاف شلال الدم». في هذا الكلام فكرتان هامتان، الأولى أن بارسي يحاول أن يصور القضية السورية كملف عنف بين أطراف متشاركين في العنف على حدٍ سواء، مساواةً بين المجرم والضحية، هو لا يخبرنا من يقوم بالعنف ومن عليه أن يوقفه. والفكرة الثانية أنه يحاول أن يحصر القضية السورية بوجهها الإنساني دون باقي الوجوه الحقوقية والسياسية، والتي يعتبر الملف الإنساني عَرَضاً من أعراضها.

لكن بارسي لا يتوقف عند هذه النقطة فقط، هو يضع اللوم الأكبر على الجيش السوري الحر في عدم إنجاح الخط الدبلوماسي أو التفاوضي، وذلك لأن أولويات الجيش السوري الحر لا تتوافق مع هذه الخط، وذلك لعدة أسباب:

١- أي خط تفاوضي يعني نهاية الخط العسكري أو إضعاف الرغبة الغربية في التدخل العسكري في سوريا، ولأن رغبة الجيش السوري الحر هي التغيير الجذري للبنية العلوية للدولة السورية، فإن أي خط تفاوضي يعني حلاً إصلاحياً يُبقي هذه البنية.

٢- أي خط تفاوضي، سيفقد الجيش السوري الحر كثيراً من الدعم المادي والمعنوي، من طرف جبهة النصرة، والتي تدعمها الدول الخليجية، بحسب ادعاء بارسي.

٣- الخط التفاوضي، قد ينتج حلاً غير مرغوب به لدى الجيش السوري الحر، وهو حل من الممكن أن يبقى رئيس النظام السوري في كرسي الرئاسة.

ولي نصر أيضاً، وهو من أكثر أفراد اللوبي الإيراني اعتدالاً، كان يرى أنه من أجل الإعداد لمرحلة ما بعد الأسد، فلا بد من إشراك إيران في الطاولة، وهو ما حصل فعلاً في مرحلة لاحقة، ما بعد كتابة مقالته التي كانت بعنوان «ما بعد سقوط سوريا». كما أن عنوان المقالة محير فعلاً،

فمـا يـراه نـصر سـقوطاً للأسـد هـو سـقوط لـسوريا، لكنـه لا يـرى مـن سـقوطه بـداً. ولـذلك طـرح في وقـت متقـدم فكـرة الحـل الـسياسي، واعتـبر أن إدارة أوبامـا قـد خيبـة آمالـه في كـثير مـن الملفـات، الـتي كـان يـرى أن علـى الإدارة التعامـل معهـا بـشكل دبلوماسـي، كـالملف النـووي والملـف الـسوري، وهـو السبيل الذي عادت له إدارة أوباما.

يفـضل نـصر الحـل الـسياسي في سـوريا، لأنـه يـرى أن البلـد منقـسم بعـضه علـى بعـضها، فالأقليـات العلويـة والمـسيحية والكرديـة وجـزء كـبير مـن الـسنة لا يزالـون يفـضلون بقـاء الأسـد، كمـا أنهـم متخوفـون مـن اليـوم الـذي يلـي سـقوطه. في حـين أن الجهـة المقابلـة الـتي هـي الأكثريـة الـسنية، والـتي تـدعم المعارضـة، منقـسمة أيـضاً فيمـا بينهـا، مـا بـين ١٠٠ مجموعـة عـسكرية وسياسـية لا يمكـن أن تقـوم بالحفـاظ علـى وحـدة الـبلاد، واحتماليـة أن يحـصل اقتتـال بينهـا كـبيرة. كمـا أنـه يـرجح أن سـقوط الأسـد لا يعـني انتهـاء القتـال، فكـثير مـن العلـويين والكتائـب العسكرية ستستمر في محاربة المعارضة.

٢- تجـريم تركيـا والـسعودية وإغفـال الـدور الإجرامي لإيران

يـصور بارسـي أن الـدعم الخليجـي للثـورة الـسورية كـان ينطلـق مـن اسـتراتيجية «ضـرب عـصفورين بحجـر واحـد»، وذلـك أن الـدعم المباشـر أو غـير المباشـر للراديكـاليين الـسلفيين مـن طـرف دول الخلـيج، سـيؤدي إلى نتيجـتين، بحـسب مـا يـراه بارسـي رغبـةَ حكومـات الخلـيج. النتيجـة الأولى: أن الراديكـاليين الـسلفيين الـشرسين سـيؤذون غـريمهم الأسـد، وهـذا هـو العـصفور الأول. النتيجـة الثانيـة أنـه سـتكون سـوريا بـؤرة للراديكـاليين، ومكانـاً للتخلص منهم بعيـداً عـن الـداخل الخليجـي، وهـذا هـو العـصفور الثـاني، وهكـذا سيخـسر الطرفـان وسينتصر السعوديون.

في لقـاء لـه في جامعـة ميتـشيغان، قـال سـيد حـسين نـصر، في تـاريخ متـأخر مـن الثـورة الـسورية ٢٠١٥/١٢/١٤م، أي بعـد أن أصـبحت القـضية واضـحة إنـسانياً وسياسـياً، في معـرض انتقـاده الـرئيسَ التركـي، رجـب طيـب أردوغـان، وحكومـةَ حـزب العدالـة، في دعمهـم للقـضية الـسورية: «انظـروا إلى تركيـا، تركيـا مذنبـة للغايـة، الـرئيس التركـي رجـب طيـب أردوغـان صـديقٌ لـي، زرت تركيـا عـدة مـرات، ونحـن متفـاهمون للغايـة. لقـد قـرأ كـتبي عنـدما كـان في الـسجن، وقـد كـان كـذلك الـرئيس الـسابق عبـدالله غـول، إلى هـذه الدرجـة كنـت قريبـاً لهـم. لكـن مـاذا تفعلـون (يعـني في سـوريا)؟! أيـن شخـصياتكم الإسـلامية؟! لمـاذا تـسمحون لكـل هـؤلاء القتلـة بـالمرور مـن تركيـا إلى سـوريا؟!. إذن، قبـل لـوم الولايـات المتحـدة وإسـرائيل وبريطانيـا، يجـب علينـا أن نلـوم أنفـسنا. مـن الواجـب أن نكـون صـادقين مع أنفسنا».

علـى الـرغم مـن تلـك العلاقـة الوطيـدة الـتي يتحـدث عنهـا الـسيد سـيد نـصر، وعلـى الـرغم مـن أنـه مَـن أشـرف علـى رسـالة الـدكتوراه لأحـد أهـم مستـشاري أردوغـان والمتحـدث الرسمـي للرئاسـة الـدكتور إبـراهيم كـالن، إلا أن ذلـك لم يمنعـه مـن تلطـيخ صـورة تركيـا بتهمـة الإرهـاب، وهـي تلـك الفـترة الـتي قـد اشـتدَّت فيهـا الهجمـة الغربيـة علـى تركيـا واتهامهـا في الإعـلام الغربـي بأنهـا حاضـن للإرهـاب وذات علاقـة بتنظـيم داعـش. بالإضـافة إلى أن سـيد نـصر اسـتطاع أن يوجـه اللـوم إلى تركيـا وطالبهـا بموقـف أخلاقـي وبمراجعـة الـنفس، لكنـه أغفـل أيَّ حـديث عـن إيـران! في تنـاقض كـبير، مـن الممكـن بـل مـن السهل تفسيره بشكل طائفي.

يـرى ولـي نـصر أيـضاً أن أهـم دولـة يجـب أن تتواجـد في الطاولـة الدبلوماسـية حـول سـوريا، هـي إيـران، وذلـك لأنهـا الوحيـدة الـتي يمكـن أن تـؤثر علـى الأسـد. هـو يكـرر رؤيـة مراشـي ذاتهـا، بـأن يعـترف أن إيـران لا يمكـن أن تحـل أي مـشكلة، لكـن لـن يـتم حـل أي مـشكلة مـن دونهـا. وفي هـذا الكـلام سـيولة كاملـة، فـلا نـرى أيـة إدانـة للجـرائم الـتي ارتكبتهـا إيـران في سـوريا، إنمـا هـو الاعـتراف بـأن إيـران يجـب أن تكـون جـزءاً في أي ملـف مـن ملفـات المنطقـة. الأمـر الوحيـد

الذي يتخوف عليه ولي نصر، ليس ارتكاب إيران الجرائم، إنما صورتها في العالم العربي، وهي الصورة التي تدعم النضال الفلسطيني، وتحقق ما أراده من «نهوض للشيعة» في العالم الإسلامي.

كما يرى ولي نصر أن على الولايات المتحدة تولي مهمة تنظيم المعارضة السورية، ونزع الملف من اليد السعودية والقطرية، وذلك لما صنعتاه من فوضى شلَّت قدراتها في التأثير على الأسد. ظاهر الكلام يوحي بنظرة إيجابية من طرف ولي نصر تجاه المعارضة السورية ورغبته في الخلاص من الأسد. لكن من الممكن فهم كلامه، من جانب آخر، على أنه رغبة بأن تسيطر الولايات المتحدة على خطوط اللعبة ومواضع القوة، مما سيؤثر في تدجين المعارضة السورية، وإدخالها لاحقاً في عملية معالجة الملف السوري تحت الماكينة الدبلوماسية.

من الممكن الإضافة تحت هذا البند أن رضا مراشي، وهو رئيس قسم الأبحاث في المجلس القومي الإيراني الأمريكي كما أشرنا، يرى أن إيران ليست راديكالية في نهاية اللعبة في سوريا، وأنها ستقبل التفاوض على رأس الأسد، لكن إن حفظ لها هذا مصالحها الأمنية في سوريا، فهو يرى أن ما يهم إيران ليس سوريا إلا بقدر ما هي خط تواصل وإمداد إلى حزب الله. ولذلك هي تفضل الخيار العراقي في سوريا، وذلك بأن يتم الإبقاء على المنظومة الأمنية في سوريا والتي ستكون موالية لها، ويمكن للمعارضة أن تقتسم الواجهة المدنية في البلد.

الخاتمة

يعتبر الملف السوري عند اللوبي الإيراني جزءاً، وربما جزء هامشي، من الصورة الكبيرة التي ستحدد موقع إيران في الشرق الأوسط من جهة، وفي علاقتها مع أوربا والولايات المتحدة من جهة أخرى. إذ إن هناك عاملين مهمين يندرج الملف السوري تحت أحدهما أو تحتهما معاً، العامل الأول هو: الاتفاق النووي وموقع سوريا ضمن هذه الصفقة الغربية - الإيرانية. والعامل الثاني هو: دور إيران في محاربة الإرهاب في المشرق العربي (العراق وسوريا)، ممّا يضمن لها دوراً أكبر في المنطقة. ولإنجاز النقطة الأخيرة، فإن دور اللوبي الإيراني كان في طرح إيران كحليف لمحاربة الإرهاب، في مقابل محاولات إلصاقه تهمة صناعة الإرهاب، وذلك بمعاونة الإعلام الغربي، بالدولتين السنيتين الكبيرتين في المنطقة: المملكة العربية السعودية وتركيا.

مستقبل الوجود الإيراني في جزر القمر في عهد الرئيس إكليل ظنين

د. محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مقدمة:

جمهورية جزر القَمر الاتحادية الإسلامية دولة عربية إفريقية، عاصمتها موروني، تتكون من أرخبيل جزر صغيرة في جنوب شرق إفريقيا في المحيط الهندي بين جزيرة مدغشقر وساحل إفريقيا الشرقي، تبلغ مساحتها نحو (١،٨٦٢كم٢)، وتضم أربع جزر رئيسية هي: القمر الكبرى، وجزيرة إنجوان، جزيرة موالي أوموهيلي، وجزيرة مايوت أو ماهوري، وهذه الأخيرة يسكنها الكثير من الأوروبيين، ولا تزال تحت إدارة فرنسا رغم مطالبة جزر القمر بها.

يلفظ اسم جزر القَمر بفتح القاف وليس بضمها كما يفعل البعض، فالمستعمر الفرنسي غيّر لفظ الاسم وتبعه في ذلك من يتكلمون الفرنسية، والصحيح هو اسم جزر القَمر بالفتح، وقد دخل الإسلام لهذه الجزر في أواخر القرن الأول الهجري من خلال العرب المسلمين الذين عرفوها قبل الإسلام، وكانوا يزورون أهلها بأفواج تجارية، ثم بعد مجيء الإسلام قدموا إليها من حضرموت وعُمان وسواحل إفريقيا، ومنذ ذلك الحين تمسك

(*) كاتب سوداني.

الشعب القمري بالإسلام ومبادئه وتعاليمه، وصمد أمام الاستعمار الذى احتل البلد منذ عام ١٨٤١م، واستقلت جزر القمر من الاحتلال عام ١٩٧٥م، وانضمت إلى الأمم المتحدة في العام ذاته، ولمنظمة التعاون الإسلامي عام ١٩٧٦ ولجامعة الدول العربية في ١٩٩٣، فهي الآن دولة عربية إسلامية.

شعب جزر القمر مسلم سني بنسبة ٩٩،٥ ٪ جلهم متدينون يتبعون المذهب الشافعي، وهناك نسبة ضئيلة من النصارى الكاثوليك، والحديث الذي تذكره دائرة المعارف الحسينية عن أن الشيعة يمثلون ٥٪ من السكان تقدير غير صحيح، حيث أن جزر القمر لم تعرف التشيع إلا متأخرا جدا.

ينحدر القمريون من أصول عرقية مختلفة تزاوجت فيما بينها، وأعطت شعبًا ظهرت فيه القسمات العربية والإفريقية والآسيوية، وتشكل الأصول العربية حوالى ٣٥٪، والإفريقية ٥٥٪، فيما ينتمي بقية السكان لأصول آسيوية من الملايو وأندونيسيا والصين والهنود، بجانب الأوروبيين المحتلين من فرنسا والبرتغال وهولندا.

تتمتع جزر القمر بأهمية إستراتيجية نتيجة موقعها الحاكم كملتقى للطرق الملاحية المتجهة من جنوب آسيا والهند إلى الجنوب الإفريقي والعكس، ورغم ذلك فالحالة الاقتصادية للشعب القمري ضعيفة جداً فلا يكاد يتجاوز دخل المواطن ٣٠ دولارا شهرياً، وهو ما يبعث على القلق من استغلال حالة الفقر المدقع في بث الأفكار غير الصحيحة، وهو كذلك ما حفز انتشار النفوذ الإيراني بشكل ملفت للنظر مستغلا الحالة الاقتصادية المتردية للشعب القمري، وتحرص إيران على إبقاء قدم راسخة لها في هذا البلد، لما تتمتع به هذه المنطقة من موقع حيوي في خارطة العالم، وما يرتبط بذلك من ميزات جيو- استراتيجية، رغم أن الوجود الإيراني داخل جزر القمر لم يكن مألوفاً قبل فوز الرئيس السابق أحمد عبد الله سامبي في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٦م.

يوجد عدد من المنظمات الإسلامية في جزر القمر، وأول منظمة حطت رحالها فيها بعد الاستقلال هى رابطة العالم الإسلامي وكان ذلك عام ١٩٨٢م وفتحت لها مكتبا هناك، وتم ترفيعها من قبل الحكومة، وتمت معاملتها معاملة المؤسسات الدبلوماسية، وأنشأت معاهد تعليمية استفاد منها كثير من القمريين، وتوجد ست مدارس تتبع لها، أنشئت في عهد حكومة الرئيس الأسبق أحمد عبد الله منذ عام ١٤٠٠هـ، وتخرج منها الكثير، ثم سافروا إلى الدول العربية فدرسوا فيها وتعلموا العلوم الشرعية، وتوجد مدارس أخرى كمدارس الإيمان، والمعهد الإرشادي، ولا توجد مدرسة أهلية أو حكومية إلاّ وتدرس مبادئ الإسلام، ويوجد في الجزر أيضا كلية الإمام الشافعي للعلوم الشرعية واللغة العربية، ونشأت أخيرا جامعة جزر القمر، كما وافقت وزارة التعليم العالي السودانية على فتح فرع لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودانية هناك.

ومن المنظمات الموجودة أيضا جمعية العون المباشر ومنظمة الدعوة الإسلامية ومؤسسة الإعمار العالمية، وهنالك منظمات قَطرية نشطت في العمل الخيري بعد مؤتمر الدوحة الخاص بجزر القمر والذي عقد عام ٢٠١١م وهى مؤسسة الشيخ ثاني بن عبد الله الخيرية ومؤسسة الشيخ عيد الخيرية والهلال الأحمر القطري وقطر الخيرية، وهنالك مؤسسات إيرانية، وهنالك مؤسسات غربية، فالكنيسة الكاثوليكية مازالت موجودة من قبل الاستعمار ولم تخرج معه.

الوجود الإيراني في جزر القمر:

الوجود الإيراني في جزر القمر متعدد الجوانب ثقافيًا ودعويًا وأمنيًا وعسكريًا، وكانت السلطات القمرية تقدم للجانب الإيراني كل التسهيلات لنشاطهم من مبانٍ إدارية وسكنية، وأراضٍ، وإعفاءات جمركية، وحصانة دبلوماسية، وأبرز وجوه النشاط الإيراني يتمثل في الآتي:

١- لجنة إمداد الإمام الخميني: وهي في الأصل مركز للمساعدات الإنسانية واسمه رسمياً (لجنة

إمداد الإمام الخميني في جزر القمر المتحدة)، ومقره على الطريق الرئيس المؤدي لمطار العاصمة، وتقوم هذه اللجنة بأنشطة إنسانية مختلفة أهمها تنظيم دورات تدريبية مدتها ٣ شهور لتعليم الشباب القمري الحِرف المختلفة (نجارة، كهرباء، خياطة)، وكيفية استخدام أجهزة الكمبيوتر، وقد قامت اللجنة منذ إنشائها حتى الآن بتنظيم أربع دورات شارك فيها ٨٠٠ من القمريين، بمعدل ٢٠٠ مشارك في كل دورة، أما النشاط الآخر فهو رعاية الأسر الفقيرة وتقديم الدعم المادي والعيني لهم، ويبلغ عدد الأسر المستفيدة من المساعدات التي تقدم كل شهرين ٥٠٠ أسرة قمرية.

وتحت غطاء العمل الإنساني يتم تمهيد الطريق إلى التشييع عبر دعاة شيعة يخلطون عملهم بالعمل الإنساني، وهناك أيضا شركات جاءت لتنفيذ مخططات بنائية لإزالة السكن العشوائي يعمل فيها دعاة شيعة، وبعضهم يرفع العلم الإيراني.

٢- مركز التبيان: له فرع في جزيرة أنجوان، ويتكون المركز من معهد عالٍ للحقوق والعلوم الإسلامية، يمنح درجة الليسانس، ويدرّس الفقه على المذهب الجعفري، إلى جانب تدريس اللغة الفارسية، وبه مكتبة تضم كتب ومراجع الشيعة المعتمدة.

وثمة توجه لابتعاث الخريجين المتفوقين في مركز التبيان ومعهده إلى الخارج للحصول على الماجستير والدكتوراه في سياق السعي لمنافسة وتقويض جهود كلية الإمام الشافعي ذات المناهج السنية.

٣- مستوصف الهلال الأحمر الإيراني: وهو مركز طبي تابع للهلال الأحمر الإيراني، في العاصمة موروني، ويتركز النشاط الرئيس للمركز في تقديم أشكال الرعاية الصحية لأفراد الشعب القمري مجاناً أو بأسعار رمزية.

٤- الوجود العسكري الإيراني في الجيش القمري والمؤسسات الأمنية: تشير بعض المعلومات إلى أن هناك عناصر أمنية إيرانية كانت تتولى مسؤولية الإشراف وتأمين الحماية للرئيس السابق أحمد عبدالله سامبي، ووفقاً لما أكده أحد السياسيين القمريين؛ فإن تلك العناصر مسؤولة عن تأمين الرئيس داخل الدولة وفي الرحلات الخارجية التي يقوم بها أيضاً.

٥- وجود خبراء أمنيين تحت ستار مهندسين زراعيين في وزارة الزراعة، في مكتب نائب رئيس الجمهورية المكلف بالإنتاج والزراعة فؤاد مهاجو، وهو من رجال الرئيس السابق سامبي الأوفياء، وقام خلال الفترة الماضية بعد تولي الرئيس إكليل مقاليد الحكم بأربع زيارات إلى طهران.

٦- تقديم بعثات دراسية منتظمة إلى إيران، وتنظيم رحلات في كل ستة أشهر لبعض الكوادر والإعلاميين والنواب وكبار الشخصيات والعلماء إلى طهران، وإرسال بعض الشباب إلى إيران ولبنان لتجييشهم وتكوينهم أمنيًّا وعسكريًّا.

٧- مؤسسة فاطمة الزهراء: هذه المؤسسة مقرها الرئيس في دبي، وقيل إنها خَصصت مبلغا ضخما لبعض مشاريع البنية التحتية في جزر القمر لسنوات قادمة.

تلعب المؤسسات الدينية حتى في الدول المجاورة دوراً مهما في عملية التشيع، منها على سبيل المثال مجمع شباب أهل البيت في كينيا، ووفقاً لزعيم الشيعة في جزر القمر محمود عبد الله إبراهيم، والذي تحول من المذهب السني إلى الشيعي عام ٢٠٠٤، أن التوجه نحو التشيع لدى أبناء جزر القمر آخذ في التنامي، وأنه حتى عام ٢٠٠٦ بداية ما يسمونه التبليغ للتشيع، لم يكن هناك أي شخص ينتمي للمذهب الشيعي في البلاد، ولكنهم أصبحوا حتى عام ٢٠٠٨م حوالى ١٠٠ شخص.

الدور السابق لمؤسسة الرئاسة في نشر التشيع:

الرئيس السابق لجمهورية جزر القمر أحمد عبدالله محمد سامبي (٢٠٠٦م - ٢٠١١م)، تلقى دروسه الثانوية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٠، ثم تابع الدراسة لمدة

عـام في الـسودان، قبـل أن يـدرس لمـدة أربـع سـنوات في إيـران، وكـان علـى المـذهب الـشافعي قبـل ذهابـه إلى هنـاك، ويعتـبر أكثـر رؤسـاء هـذه الـبلاد إثـارة للجـدل، حيـث تـصفه الـدوائر الـشيعية بأنـه أبـرز رجـال الـدين مـن القـارة الأفريقيـة ممـن تتلمـذوا علـى يـد المرجـع الـشيعي المدرّسـي لـسنوات في حـوزة الإمـام القـائم، وكـان يطلـق عليـه آنـذاك (الـسيد أبـو أيمـن) وذلـك بعـد أن استبـصر علـى يـده وانتقـل مـن المـذهب الـسني إلى المـذهب الـشيعي، وتحـول إلى مبلّـغ كـبير للتشيع في جـزر القمـر، رغـم أن سـامبي قـال لقنـاة الجزيـرة إنـه سـني وعلـى المذهب الـشافعي، حيـث يـرى البعض أن ذلك تقية.

عرفـت جـزر القمـر في ظـل حكـم سـامبي افتتـاح عـدة مراكـز إيرانيـة، فقـد أطلـق رئـيس الدولـة لهـا العنـان ومنحهـا كـل التـسهيلات والامتيـازات وسـخّر لهـا أجهـزة الدولـة المختلفـة، لتعمـل تلـك المراكـز علـى تـشييع الـشعب القمـري تحـت مظلـة العمـل الخـيري والإنـساني، وقـاد الـرئيس الـسابق تقاربـاً شـديداً مـع إيـران، أدى إلى افتتـاح الكـثير مـن الحـسينيات في البلـد الـسني الخـالص، كمـا افتتحـت معاهـد دينيـة إيرانيـة، ووصـل الأمـر إلى تـشيع عـدد مـن الطـلاب القمـريين بعـد الدراسـة في الجامعـات الإيرانيـة، إلى جانـب أن إيـران تولـت تـدريب وتعلـيم الدبلوماسـيين القمريين في المعاهد السياسية في إيران.

أول ظهـور علـني للـشيعة في جـزر القمـر كـان في عهـد سـامبي بخـروج بعـض الـشباب للاحتفـال بـذكرى عاشـوراء وفـق الطقـوس الـشيعية في عـدة حـسينيات في جزيـرة انجازيجـا وفي جزيـرة هنـزوان مـن جـزر القمـر، وقـد أثـارت هـذه الاحتفـالات اسـتغرابا شـديدا في وسـط سـني لم يتطـرق إليـه التـشيع مـن قبـل، مـا أدى لموجـة اسـتنكار مـن قبـل العلمـاء والـدعاة والمـواطنين، وفي عهـد سـامبي تبـدل الحـال، إذ أظهـر مـن كـان يمـارس التقيـة مـذهب الـشيعة وأقام الطقوس الشيعية علنا في الحسينيات.

سياسـة إيـران في عهـد الـرئيس سـامبي كانـت هـي الـدخول للـبلاد مـن خـلال الخـدمات، حيـث أنـشأت الهـلال الأحمـر الإيرانـي، ثـم بـدأت في إنـشاء مركـز التبيـان الثقـافي الـذي يقـيم دورات باللغـة الفارسـية، بعـد ذلـك أقامـت معهـد الحقـوق والعلـوم الإسـلامية، في حـين تخـرج في المعهـد دفعتـان، تـضم الدفعـة حـوالي ١٧٠ طالبـاً تقـدم لهـم خـدمات التعلـيم مجانـا، إلى جانـب شـركات مقـاولات إيرانيـة يعمـل فيهـا دعـاة شـيعة، ومنحـت الحكومـة القمريـة مقـر وزارة الـشؤون الإسـلامية والعـدل سـابقاً ليكـون فرعـا لجامعة «قم».

الوجـود الإيرانـي في عهـد الـرئيس إكليـل ظنين:

سـعى الـرئيس سـامبي عـبر عـدد مـن المحـاولات للبقـاء في الحكـم بالـسعي لتعـديل الدسـتور، وتمديـد فـترة الولايـة، والتلاعـب بنتـائج الانتخابـات التـشريعية، ولكـن تحـت ضـغوط المعارضـة، وافـق علـى التخلـي عـن الحكـم، وإجـراء الانتخابـات الرئاسـية لتنتقـل الرئاسـة وفـق الدسـتور إلى جزيـرة موهيلي، حيـث أن الرئاسـة دوريـة بـين الجـزر المكونـة للبلاد.

والـدكتور إكليـل ظـنين طبيـب صـيدلاني ورجـل متـدين، يحمـل درجـة الـدكتوراه في الـصيدلة، وعمـل نائبـا للـرئيس سـامبي، مكلفـا بـوزارة الـصحة، ثـم وزارة الماليـة، ثـم وزارة الزراعـة والإنتـاج، منـذ ٢٠٠٦م، وحتـى٢٠١١م، حيـث تم انتخابـه لتـولي رئاسة الجمهورية في جزر القمر.

خـلال تـولي ظـنين منـصب نائـب رئـيس الجمهوريـة تم تكليفـه مـن قبـل الـرئيس سـامبي بملـف العلاقـات القمريـة الإيرانيـة بعـد الزيـارة الرسميـة الـتي قـام بهـا وفـد إيرانـي كـبير للـبلاد، ضـمّ عـددا مـن الـوزراء ومـسؤولين كبـارا في أغـسطس ٢٠٠٦، وقـد تمخـض عـن هـذه الزيـارة التوقيـع علـى اتفـاق إطـاري للتعـاون بـين البلـدين في المجـالات الزراعيـة والـصحية والتربويـة والثقافيـة والدبلوماسـية، ووقـع هـذا الاتفـاق عـن الجانـب القمـري الـدكتور إكليـل ظـنين، بـصفته نائبـا لـرئيس الجمهوريـة المكلـف بـوزارة الـصحة،

وقام ظنين خلال السنوات الخمس لحكم الرئيس سامبي، بأربع زيارات إلى طهران،

حدث تحول كبير في العلاقات مع إيران بعد وصول الرئيس ظنين للحكم، حيث شهدت العلاقات القمرية الإيرانية تدهوراً منذ العام ٢٠١١م حيث أطلق ظنين حملة غير مسبوقة لتحجيم النشاطات الإيرانية التبشيرية التي سعت إلى استغلال الفقر في البلاد لنشر التشيع.

وكان البرلمان القمري قد جرّم التحول إلى التشيع، وبذلك كانت جزر القمر هي الدولة الثانية التي تنهج هذا المسلك القانوني بعد ماليزيا التي جرّمت التشيع، فقد وضع البرلمان القمري عام ٢٠٠٨ قانونا باسم «قانون تنظيم الممارسات الدينية في جزر القمر»، وجاء في نص هذا القانون: «إن مذهب أهل السنة والجماعة تحت المذهب الشافعي، هو المرجع الديني الرسمي والوحيد المعتبر من قبل الدولة، ويتم حظر جميع الممارسات الدينية التي تخالف مذهب أهل السنة والجماعة»، ولكن الرئيس السابق سامبي لم يصادق على هذا القانون طيلة حكمه، فيما تم التصديق عليه من قبل رئيس الجمهورية الحالي إكليل ظنين في ٢٠١٣م، كما قطع الرئيس ظنين علاقات جزر القمر مع إيران تضامنا مع المملكة العربية السعودية في الاعتداءات التي شهدتها بعثتاها في إيران.

تحتفظ جزر القمر بتقليد جميل عند الرؤساء القمريين فهم يحبون الدين ويتقربون للناس، فالرئيس هو من يؤم الناس في الصلاة إذا حضر في أي مناسبة وكذلك الجمع والأعياد، وهنالك من الرؤساء من كان يحفظ القرآن وهنالك من يفسره وهنالك من يدرّس الناس الفقه، وقد أصدرت الحكومة في عهد ظنين مرسوماً قضى بإغلاق أماكن بيع الخمور، وقراراً آخر بمنع بيعها في جميع الأماكن التجارية والطرقات، كما أن الرئيس ظنين يتفاعل مع كل ما يرفع إليه من الأمور التي ترتبط بحياة المواطن في معاشه ومعاده.

ورغم تلك الأنشطة والقرارات المهمة لمحاصرة المد الإيراني لكن ما يزال الضباط العسكريون والأمنيون موجودين في البلاد، وما يزال عدد من المراكز والمؤسسات الإيرانية يعمل ليل نهار، وهناك استمرار لتبادل الزيارات بين المسؤولين في البلدين، فقد قام نائب الرئيس فؤاد مهاجي بعدة زيارات إلى طهران، ويقال إنه أصبح الرجل الموثوق لدي الرئيس السابق سامبي وإيران في الحكومة الحالية، وقد يعود السبب إلى قوة شخصيته واعتداده بنفسه مقارنة برئيس الجمهورية ذاته.

في زيارة الرئيس ظنين لجزيرة أنجوان أخيرا شكا إليه علماء الجزيرة انتشار التشيع في جزيرتهم بصورة ملفتة ومقلقة، وطالبوه بإيجاد حل عاجل، ووعدهم من جانبه بالنظر في الموضوع والأخذ برأي مفتي الجمهورية سيد طاهر أحمد مولانا، والذى كان مغيبا تماما في عهد سامبي، ولم يكن له موقف واضح من انتشار التشيع، وتشير بعض المعلومات أن حاكم هذه الجزيرة أنيس شمس الدين قد تشيع في مدغشقر، خلال فترة دراسته هناك، وكانت علاقاته مع السفارة الإيرانية هناك قوية، وقد تسلم شمس الدين إدارة هذه الجزيرة في عهد الرئيس سامبي، مما يشير لخطورة الوضع في جزيرة أنجوان بشكل خاص.

ظهر النفوذ الإيراني في القرار السياسي القمري في تخبط الدبلوماسية القمرية في الأمم المتحدة في مناصرة القضايا العربية والإسلامية، إذ لم يصوت مندوب جزر القمر لصالح مشروع القرار الذي تقدمت به السعودية ضد إيران في محاولة اغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة آنذاك، كما امتنع أيضا عن التصويت لصالح المشروع العربي ضد سوريا، وهذا التحول الخطير الذي طرأ مؤخرا في الدبلوماسية القمرية ينم عن نفوذ إيران المتنامي في صناعة القرار في الجزر، مما يستدعي يقظة وتحركا في الوقت المناسب، قبل فوات الأوان واستفحال الوضع.

مستقبل الوجود الإيراني في جزر القمر:

يشير كثير من المعلومات إلى أن الرئيس السابق

سامبي يود أن يظل في دائرة الضوء، ويتصرف كأنه المرشد الموجه للرئيس الحالي، ولكن الرئيس ظنين في لقاء مع قناة الجزيرة وصف علاقته بسامبي بـ «السيئة» لأن الأخير بعد انقضاء ولايته أصبح «يتدخل في أمور الدولة، ويخلق عدم توافق من خلال حملات يقوم بها»، واصفا هذا بأنه «غير جيد»، وكشفت تصريحات لمقربين من الرئيس سامبي في وسائل الإعلام المحلية مفادها أن سامبي يعمل ليعود إلى الحكم عام ٢٠١٦، بنفسه أو بأحد من مؤيديه.

وقد جاءت الانتخابات الأخيرة في مايو ٢٠١٦م بالعقيد عثمان غزالي (٥٧ عاما) المدعوم من الرئيس السابق أحمد عبد الله سامبي رئيسا للبلاد، وقد حصل على ٤٠,٩٨٪ من الأصوات متقدما على مرشح السلطة محمد علي صوالحي المعروف باسم مامادو الذي حصل على ٣٩,٨٧٪ من الأصوات، وحل في المركز الثالث حاكم جزر القمر الكبرى المرشح مويني بركة بـ ١٩,٢٪ من الأصوات، وكان عثمان غزالي قد حكم جزر القمر في فترة سابقة بعد أن وصل إلى السلطة بانقلاب عسكري في أبريل ١٩٩٩، واستمر في المنصب لغاية ٢٠٠٦ بعد فوزه بانتخابات الرئاسة.

ويتوقع مراقبون أن يعمد الرئيس السابق سامبي للترشح لمنصب نائب الرئيس عن جزيرة أنجوان، وإن نجح هذا السيناريو فستكون عودته على الطريقة الروسية، كما حدث بين الرئيسين بوتين ومدفيدف.

عموما تعتبر فترة الرئيس إكليل ظنين فترة ممتازة شهدت تواصلا وتنوعا لجهود التصدي للنفوذ الإيراني للبلاد، ولكن مَن يراقبون الأحداث يتملكهم الخوف من أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه بعد وصول عثمان غزالي المقرب من الرئيس السابق سامبي للسلطة، مما يستدعي الحذر والانتباه لتطور ومآلات الأحداث في البلاد في العهد الجديد.

ويستدعي ذلك مساعدة العلماء وطلاب العلم والدعاة المحليين للتصدي للتوسع الشيعي وتمكين المعارضة الوطنية من فتح قنوات تلفزيونية ومواقع إخبارية بالعربية والفرنسية على الانترنت لفضح أكاذيب سامبي وأجندته الرافضية، والسعي للحد من الخطر الداهم الذي يمثله، وإسقاط الفكر الشيعي المتنامي الذي زرعه في البلاد ويرعاه ويسعى لتثبيته، كما ينبغي توفير المنح الدراسية للطلاب القمريين للتخصص في العلوم الشرعية ليساهموا في تعريف الشعب القمري بالحقائق عن الشيعة وخطرهم، وعقائدهم، والتحذير منهم. كما ينبغي زيادة الاستثمارات العربية بالبلاد، خصوصا في مجالات البناء والتعليم والصحة، وأن تسارع الدول العربية والإسلامية التي ليست لها سفارات في جزر القمر لفتح سفارات وملحقيات ثقافية لها في هذا البلد لتسهم في نشر اللغة العربية وتثبيت وتوطيد الإسلام الصحيح.

مراجع:

١- تقرير التشيع في إفريقيا (تقرير ميداني)، اتحاد علماء المسلمين، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، مركز نماء للبحوث والدراسات.

٢- تقرير عن النشاط الإيراني في جزر القمر، موجود على الرابط:

twitmails3.s3-website-eu-west-1.amazonaws.com/users/371905848/1254/.../_____.do...

٣- عزيز مطهري، جزر القمر تبحث عن قاطرة عربية لقطع علاقاتها مع إيران، صحيفة الجزيرة السعودية، بتاريخ: ١٤ يناير ٢٠١٦م.

٤- أبو الوليد العراقي، جزر القمر.. الأرخبيل السني المنسي في الأحضان الإيرانية، مادة منشورة على الرابط:

http://www.dd-sunnah.net/records/view/action/view/id/2069/

٥- بخاري مردابي موسى، المد الشيعي في جزر القمر... دلالات وأبعاد ، موقع الراصد، بتاريخ مايو ٢٠١٣م، موجود على الرابط:

www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6159

٦- حوار مع د. سعيد برهان نائب رئيس جامعة جزر القمر ورئيس اتحاد علماء إفريقيا، منشور بموقع منارات إفريقية، على الرابط:
http://www.islam4africa.net/ar/more.php?cat_id=12&art_id=68

الإرهاب... الوجه الآخر لحزب الله

بوزيدي يحيى(*) - خاص بالراصد

اقترن اسم «حزب الله اللبناني» بمقاومة الكيان الصهيوني طيلة العقود الثلاثة الماضية، ونتيجة لذلك استعصى على الكثيرين تقبل وسمه بـ «الإرهاب» نظير أعماله في سوريا وغيرها من الدول، خاصة وأنه كان يرفع شعار نصرة فلسطين، وحاول بعضهم التوفيق بين ما يقوم به في لبنان من «مقاومة» وما يفعله خارجها من «إرهاب». هذه المحاولة في الفصل بين أدوار الحزب تدلل على المأزق الذي تعانيه النخب التي تختلق تبريرات لا تستند إلى أي أسس موضوعية. والحقيقة التي تُغفل هنا أن الثورة السورية لم تكن محطة تحول في مسار حزب الله وإنما كاشفة له لا أكثر، فتاريخ الحزب لا يخلو من أعمال إرهابية ابتداء من لحظة تأسيسه، والمقاومة لم تكن أكثر من غطاء وظفها لتنفيذ أجندة سياسية وكّلت له.

حزب الله وجدلية مفهوم الإرهاب:

يُعرف الإرهاب بأنه استخدام القوة أو التهديد باستخدامها من أجل إحداث تغيير سياسي خارج إطار القوانين سواء الوطنية أو الدولية. هذا المفهوم الواسع يجعل من كل القوى السياسية سواء داخل الدولة الواحدة أو بين الدول تتراشق الاتهامات بممارسة الإرهاب، لذلك أصبح مطية لتحقيق أجندات سياسية. وقد كان حزب الله من النماذج التي يضرب بها المثل في ازدواجية معايير تصنيف الحركات السياسية بـ «الإرهابية»، إذ تَعتبر الدول الغربية ما يقوم به الحزب ضد الكيان الصهيوني إرهابا، ولا شك أن ذلك غير صحيح نهائيا، ولكن في الوقت نفسه لا يعني عدم إسقاط «وسم الإرهاب» عليه نظير ممارساته في أماكن أخرى، والتي تسحب الشرعية عن أعماله ضد الكيان الصهيوني، فحتى لو فتح الحزب الآن جبهة مع الاحتلال وحقق فيها بطولات لن ينفي ذلك عنه صفة «الإرهابي» التي تفرضها ممارساته خارج إطار «المقاومة».

وعند الوقوف على هذا المفهوم في أدبيات حزب الله نجده في وثيقته السياسية يتحدث عن «الإرهاب» وكيف تحوّل إلى: «ذريعة أميركية للهيمنة من خلال أدوات: الملاحقة/الضبط، والاعتقال التعسفي/ افتقاد أبسط مقومات المحاكمات العادلة، كما نجدها في معتقلات «غوانتنامو»، ومن خلال التدخل المباشر في سيادة الدول وتحويلها إلى ماركة مسجلة للتجريم التعسفي واتخاذ إجراءات معاقَبة تطال شعوباً بأسرها، وصولاً إلى منح نفسها حقاً مطلقاً بشن حروب تدميرية وماحقة لا تميز بين البريء والمجرم، ولا بين الطفل والشيخ والمرأة والشاب»[1]. ولا بد لتأكيد صفة الإرهاب على الحزب من عدمها من إسقاط كل مآخذه على الإدارة الأمريكية في طريقة توظيفها للإرهاب على ممارساته سواء في لبنان أو خارجه.

النشأة الملتبسة:

يحيل حزب الله في أدبياته وخطاباته إلى الاجتياح الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢ كسبب مباشر لظهور الحزب كحركة مقاومة مسلحة لصد العدوان، وهذا ما أصبح متداولا عن تأسيسه

(*) كاتب جزائري.

(١) الوثيقة السياسية لحزب الله ٢٠٠٩، الجزيرة نت، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/arabic/2009/11/30/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87

بشكل عام، والبعض يذهب إلى أن نشأة الحزب كانت بقرار إيراني مباشر لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢[1]. وتغفل أبعاد أخرى حول نشأته - رغم أهميتها الكبيرة- في فهم طبيعة مشروعه السياسي. فالحزب ولد من رحم انشقاق سياسي عن حركة «أمل» اللبنانية، وكما يدلل عليه اختصار اسمها «أفواج المقاومة اللبنانية» فهي إذن حركة مقاومة لمواجهة الاحتلال الصهيوني، وبالتالي فإن الحجة الأخيرة ليست مبررا لتأسيس الحزب إذ كان بوسعه القيام بذلك تحت غطاء الحركة.

ومن جهة أخرى فإنه لم يكن بناءً على قرار ذاتي/ داخلي صرف، وإنما بإيعاز خارجي مباشر من إيران التي اختارت الاسم ورسمت كل معالم الحزب الفكرية والتنظيمية[2]؛ بدايةً من تبنّيه لنموذج هيكلي شبيه بنموذج الباسدران (الحرس الثوري) يعتمد على وجود ميليشيا ودعم اجتماعي ونشاطات ثقافية وقوة اقتصادية وصولا إلى تدريبه العسكري الأولي على يد قوات الباسدران في بعلبك قبل الانتقال إلى التدريب في إيران بالإضافة إلى تمويله ومدّه بالسلاح لعقود طويلة وبقيمة وصلت

(١) طلال عتريسي، سلاح حزب الله: اشتباك داخلي وإقليمي، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤/٠٣/٢٤، ص ٠٣.

(٢) تعهد «حزب الله» في بيان عام ١٩٨٥، - بوضوح- بالولاء للمرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الذي كان في ذلك الوقت هو آية الله روح الله الخميني وحث على إنشاء دولة إسلامية أكبر يقودها الخميني بمقتضى فكرة ولاية الفقيه. وكان نصر الله نفسه يكرر دائما هذه الأفكار بداية من خطابه غير المؤرخ في أواخر الثمانينيات وقبل أن يحتل منصبه كأمين عام لحزب الله ووصولا إلى آخر خطابه المتلفزة في ٢٠١٥ في المؤتمر السنوي الثاني: «التجديد والاجتهاد عند الإمام خامنئي. انظر: تالي هلفونت، حزب الله منظمة إرهابية .. قرار تأخر ثلاثة عقود، مجلة المجلة، ٢٠١٦/٠٤/١٤، على الرابط:
http://arb.majalla.com/2016/04/article55253693/%D8%BA%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%83%D9%84-%D9%87%D8%B0%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%88

إلى نحو ٢٠٠ مليون دولار سنويا وفقا لتقديرات البنتاغون[3].

انطلاقا من هذه الخلفية فإن تحليل سلوك حزب الله يجب قراءته في إطار كلي من خلال مشروع إيران باعتباره أداة مرتبطة بها دينيا وسياسيا وماليا، وقراراته تصنع في طهران وليس في الضاحية الجنوبية، وبذلك فإن حديث الحزب عن «مقاومته» للكيان الصهيوني والاستكبار العالمي لن يكون خارج التصور الإيراني الذي ينطلق من مصالح «الدولة» ورؤيتها لعلاقاتها الدولية ومكانتها الإقليمية، والتي تبقى في حدود التنافس والتعاون مع «الأعداء» إذا اقتضت المصلحة ذلك، وهو ما أثبتته الوقائع في الملف النووي، والعراق، وأفغانستان، وحتى سوريا[4]. ناهيك عن هذا فإنه (أي الحزب) لم يكن حالة فريدة أو معزولة؛ إذ أنشأت إيران أشقاء له في دول أخرى في نفس الوقت على غرار حزب الله الحجاز، والكويت، والبحرين، والعراق، وفي هذه الدول لا يوجد «اجتياح إسرائيلي» والاسم واحد، والراعي واحد، والمهمة تبعا لذلك واحدة؛ تتمثل في تنفيذ أجندة سياسية يرسمها الولي الفقيه القابع في طهران.

ومن جهة أخرى فإن الحزب منذ لحظة تأسيسه تلطخت يداه بدماء اللبنانيين ومن شركائه في المعتقد، وإن كان يختلف معهم في المشروع (ولاية الفقيه)، وبالتالي فإن الصورة الأخلاقية التي يحاول رسمها لنفسه انطلاقا من فعل المقاومة يفندها تاريخه الذي يدلل على بدايته العرجاء، فهو ليس فقط «ابن الثورة الخمينية الإيرانية»، وابن المسألة

(٣) المرجع نفسه.

(٤) طوني بدران، لبنان والجماعة الشيعية، مجلة المجلة، ٢٠١٤/٠٢/٠٤، على الرابط:
http://arb.majalla.com/2014/02/article55249807/%D9%85%D8%B3%D8%A4%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%B4%D8%AE%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3

الجنوبية اللبنانية، بل هو قبل كل شيء ابن الحرب الأهلية اللبنانية، وخاضها بشكل أساسي كحرب «أهلية شيعية داخلية»، للسيطرة تباعا، على الضاحية الجنوبية لبيروت، والجنوب والبقاع الشمالي، وبعد صراع دموي مع «حركة أمل»، دون إغفال وقائع «تنكيله باليساريين، أو تهجيره للمسيحيين».

الشراكة السياسية بالإرهاب:

بعد اتفاق الطائف ولج حزب الله العملية السياسية اللبنانية تدريجيا حتى أصبح له ممثلوه في البرلمان ووزراء في الحكومة، هذا التطور لم يكن على حساب وضعه كـ «مقاومة» / مليشيا مسلحة، فقد استطاع أن يحافظ على وجوده في الساحة السياسية ويشرعن استمرار تمسكه بسلاحه من خلال رفعه شعار ثلاثية «الجيش – الشعب- المقاومة» بالرغم من تعارض ذلك مع منطق «الدولة» واحتكارها لممارسة العنف في إطار القانون[1].

وبغض النظر عن ذلك فإن هذه الوضعية تحتم من الناحية النظرية الالتزام بقواعد اللعبة السياسية السلمية من خلال الآليات المتاحة للمشاركة السياسية وفق القانون، وأن يبقى السلاح موجها ضد الكيان الصهيوني لحماية لبنان فقط، والخروج عن هذه القاعدة واستخدام العنف أو التهديد به لتحقيق مكاسب سياسية داخلية يدرج في خانة الإرهاب، خاصة إذا كان الطرف الآخر ملتزما بتلك القواعد.

تُظهر سلوكيات الحزب في الساحة اللبنانية أنه غالبا ما يلجأ إلى العنف لتسوية الملفات السياسية العالقة مع خصومه، ومن الأمثلة على ذلك التي يرصدها نديم قطيش: «نجاحه عبر مزيج من العنف المادي والمعنوي في تفريغ الجزء الذي يعنيه من القرار الدولي (١٥٥٩) في ٢ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٤ والذي طالب بين بنوده الأربعة بحل «جميع المليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ونزع سلاحها» فبعد شهر جرت محاولة اغتيال الوزير في حكومة رفيق الحريري –آنذاك- مروان حمادة ضمن منحى تصاعدي وصل إلى اغتيال الحريري نفسه ومَن بعده، وقيامه بما بات يعرف بعملية «٧ أيار» حين قررت الحكومة اللبنانية برئاسة «فؤاد السنيورة» في ٥ مايو (أيار) ٢٠٠٨ مصادرة شبكة الاتصالات التابعة لسلاح الإشارة في ميليشيا «حزب الله»، وإقالة قائد جهاز أمن مطار رفيق الحريري الدولي، فسحبت الحكومة قراريها وعطلت مفاعيلهما .وبعد القرار (١٥٥٩) وقراري حكومة السنيورة؛ عرقل عمل المحكمة الخاصة بلبنان، إما من خلال حماية المتهمين أو عرقلة الوصول إلى الأدلة، أو من خلال قتل محققين وشهود، أو رفع مستوى الاشتباك مع الحكومة على خلفية تمويل المحكمة والتزام لبنان بالوفاء بالمستحقات الواجبة عليه»[2].

كما شكلت حادثة الوزير «ميشال سماحة» الذي أدين - بعد اعترافه- بنقل متفجرات إلى لبنان والتخطيط لأعمال إرهابية بالتعاون مع مسؤولين أمنيين سوريين قصد إشعال فتنة طائفية

(١) منذ دخول حزب الله إلى الحياة البرلمانية السياسية في التسعينيات، دفع كثيرون بأن الحزب «يتطور»، ويتحرك تدريجيا نحو التخلي عن التزاماته الإقليمية، وأنه يتحول تدريجيا إلى «اللبننة» ويستعد لمرحلة «الحياة بعد المقاومة»، لم يكن انخراط الحزب في السياسة الداخلية، وخاصة مشاركته في مجلس الوزراء منذ عام ٢٠٠٦، متعلقا بالاندماج في الدولة اللبنانية. ولكنه تعلق بإخضاع الدولة لتفضيلات حزب الله وأجندته الإقليمية، التي يجري تحديدها في طهران. أوضح نعيم قاسم، نائب الأمين العام للحزب، هذه الرؤية في مقال نشر عام ٢٠٠٧ تحت عنوان «كيف ينخرط باقي المجتمع في المقاومة؟». كانت ولا زالت نية حزب الله هي الحفاظ على مكانته كجماعة مسلحة مستقلة، مع ضمان أن دولة لبنان وخصوم الحزب في الداخل لا يستطيعون اتخاذ خطوات في سبيل التعدي على هذه المكانة. انظر: وسام سعادة، **هالة المقاومة التي نسجها حزب الله حول سلاحه**، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤/٠٣/٢٤، ص ٠٢.

(٢) نديم قطيش، حزب الله والمصارف هذه المرة لا مفر، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٦/٠٦/١٧، على الرابط:
http://aawsat.com/home/article/667136/%D9%86%D8%AF%D9%8A%D9%85-%D9%82%D8%B7%D9%8A%D8%B4/%C2%AB%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87%C2%BB-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D8%B1%D9%81-%D9%87%D8%B0%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A9-%D9%84%D8%A7-%D9%85%D9%81%D8%B1

أهم دليل على المدى الذي يمكن أن يذهب إليه حزب الله في إرهابه حيث راح يدافع عن «الإرهابي برتبة وزير»، ويُتهم بأنه كان وراء إطلاق سراحه بعد أن قضى ثمانية أشهر في السجن بدل أربع سنوات، وفور ذلك دافع عنه حزب الله واستهجن الأصوات الأخرى التي اعترضت على قرار المحكمة العسكرية. ليعاد لاحقا محاكمته ويحكم عليه بالسجن ثلاث عشرة سنة، من طرف القضاء الذي كان يدافع عنه حزب الله لما أُطلق سراحه.

يضاف إلى ذلك الاتهامات التي تلاحقه بالتورط في تجارة المخدرات وغسيل الأموال عبر القطاع المصرفي ومكاتب الصرافة حتى اكتسب لبنان لقب «آلة غسل الأموال»، على حد تعبير ديفيد آشر خبير التمويل غير الشرعي، والذي يشير أيضا إلى أن غسل حزب الله للأموال اخترق قطاع العقارات كما فعل مع القطاع المصرفي[1].

وأبرز القضايا بهذا الشأن قضية البنك اللبناني الكندي الذي رفعت ضده الحكومة الأمريكية «دعوى مدنية بالتزوير وتبييض الأموال» استخدمت خلالها مؤسسات مالية لبنانية مرتبطة بحزب الله؛ النظام المالي الأميركي لتبييض أموال الاتجار بالمخدرات، وغيرها من العائدات الجرمية عبر غرب أفريقيا، ومن ثم إلى لبنان[2]. وفي هذا السياق فرضت عقوبات على المصارف اللبنانية للحد من تعاملاتها المالية مع حزب الله، الأمر الذي وجه إليه أصابع الاتهام في التفجير الذي استهدف فرع «بنك لبنان والمهجر» في ١٢ حزيران / يونيو ٢٠١٦، ليكون رسالة إلى المصرف وإلى غيره من المصارف التي تطبق العقوبات أو الضوابط الأميركية المالية على القطاع المصرفي اللبناني وعلى حزب الله[3].

إرهاب تحت الطلب: دور حزب الله الخارجي

لربما يجادل حزب الله أو المدافعون عنه بتبرير الإرهاب الذي يمارسه في لبنان بحجة أنه مستهدف كمقاومة، ناهيك عن أنه ليس الطرف الوحيد الذي يمارس العنف، خاصة وأن العملية السياسية اللبنانية تتميز بالاستخدام المفرط للعنف في معالجة المشكلات بين مختلف الفرقاء السياسيين، بما في ذلك «الاغتيالات السياسية»، ومن حيث المبدأ فإن كل من يرتضي اللعبة السياسية في سياقها القانوني كما سطرها «اتفاق الطائف» ثم يخرج عنها مستخدما العنف، فإن سلوكه هذا إرهابي سواء كان حزب الله أو غيره. غير أنه بالوقوف عند الأدوار التي يقوم بها الحزب خارج لبنان تتبين أصالة الإرهاب في سلوك هذه الميليشيا المسلحة.

تأتي سوريا في المقدمة فقد كشفت بما لا يدع أي مجال للشك أن ما يقوم به الحزب هناك تنطبق عليه كل مواصفات الإرهاب، رغم كل محاولاته للتغطية على ذلك بالتستر والنفي في البداية، ثم

---

(١) طوني بدران، لبنان والجماعة الشيعية، مجلة المجلة، ٢٠١٤/٠٢/٠٤، على الرابط:
http://arb.majalla.com/2014/02/article55249807/%D9%85%D8%B3%D8%A4%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%B4%D8%AE%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3

(٢) في أوائل عام ٢٠٠٩، أدلى الأدميرال جيمس جي. ستافريديز، القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا، بشهادته أمام «لجنة القوات المسلحة» التابعة لـ «مجلس النواب الأميركي» حول العلاقة بين الاتجار غير المشروع بالمخدرات ودعم الإرهاب. وقد شهد بأنه في أغسطس ٢٠٠٨، قامت «القيادة الجنوبيّة الأميركيّة» و«إدارة مكافحة المخدرات» بالتنسيق مع الدّول المضيفة لاستهداف عصابة تهريب المخدرات، وصفها بأنها تابعة لحزب الله في «منطقة الحدود الثلاثية» التي تَشمَل الأرجنتين والباراغواي، والبرازيل. كما قام المحققون =
الأميركيون والكولومبيون في أواخر عام ٢٠٠٨، بتحديد وتفكيك عصابة دولية لتهريب الكوكايين وغسل الأموال مقرها في كولومبيا، زعمت الإفادات أن قسما من أرباحها – مئات الملايين من الدولارات سنوياً – يذهب لتمويل حزب الله، لتفاصيل أكثر انظر: عمر البشير الترابي، حزب الله .. الاقتصاد الأسود، مجلة المجلة، ٢٠١٢/٠١/٣١، على الرابط:
http://arb.majalla.com/2012/01/article55231150/%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF

(٣) أحمد عدنان، تفجير المصارف ردا على خنق حزب الله، مجلة المجلة، ٢٠١٦/٠٦/١٨، على الرابط:
http://www.alarab.co.uk/?id=83010

الحديث عن حماية اللبنانيين في الحدود السورية تارة، والدفاع عن الأماكن المقدسة تارة أخرى، ليختمها بالاستعداد للذهاب إلى كل مكان في سوريا لمواجهة التكفيريين والإرهاب كما يزعم، لنصبح أمام مفارقة كبيرة؛ حيث تؤصل مقاومة لـ «مكافحة الإرهاب» كركن أساسي في خطابها وإعلامها وحربها، بينما الأصل أن تتكر عن نفسها صفة أنها إرهابية كغيرها من المقاومات[1].

تضاف هذه إلى مفارقة أخرى تتجلى في انغماسه في الأزمة السورية حيث يقاتل هناك منذ خمس سنوات ٢٤/٢٤ ساعة، و٧/٧ أيام، مقابل الهدوء الكبير الذي تنعم به الجبهة الصهيونية منذ عقد كامل (من ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٦) - رغم استهدافه بغارات إسرائيلية في سورية أكثر من مرة- وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن حزب الله أصبح محروما حتى من هامش المناورة بسبب وجود ١٥٠٠٠ جندي لبناني و١٣٠٠٠ جندي ينتمي لقوات الأمم المتحدة، التي تعزز وسائلها وولايتها بالقرار١٧٠١، والتي طبقا لها، تم إعادة انتشار حزب الله ونقله من المنطقة الحدودية إلى شمال نهر الليطاني[2].

وقد دشن الحزب أعماله الإرهابية «الصريحة» في سوريا بما قام به في القصير التي خرج أمينه العام في خطاب يعد بالنصر فيها كما لو أنه سيحرر فلسطين. بينما كل ما حصل في تلك المعركة أنه عاد إلى مَن آواه قبل ست سنوات ليقتله. لم يكن قتاله هناك عاديا، ولا حتى انتقاميا ممن أسماهم بعض مقاتليه: «بني أمية»، وإنما كان قتالا مجردا من الأخلاق كما كان معلوما حينها، ووفق روايات الناجين من الذبح، وحسب ما أظهرت الأشرطة المصورة التي انتشرت، بما يؤكد وحشية وحقدا لم يستثن الجرحى المدنيين، والتي ترقى إلى مستوى الجرائم ضد الإنسانية[3].

وامتدت أعمال الحزب عبر الخارطة العربية مستجيبة للأوامر الإيرانية؛ فأكد زعيمه حسن نصر الله أن مسلّحيه يقاتلون في العراق[4]. كما **اتهمت الحكومة اليمنية الحزب بالضلوع بصورة مباشرة في الحرب الدائرة حالياً، بين نظام الرئيس عبد ربه منصور هادي من جهة والحوثيين، وأنصار الرئيس السابق علي عبد الله صالح من جهة أخرى.** ولم تقتصر على الدعم المعنوي المعلن عنه رسمياً، بل تعدى ذلك إلى المشاركة الفعلية على الأرض وذلك بتدريب أفراد الميلشيا الانقلابية والتواجد في ساحات القتال على الحدود السعودية، والتخطيط للمعارك وترتيب عمليات التسلل والتخريب داخل الأراضي السعودية[5].

وأعمال حزب الله الإرهابية - خاصة في دول الخليج العربي بالتعاون مع تنظيمات شيعية هناك- مستمرة منذ ثمانينيات القرن الماضي، لعل أهمها ضلوع القيادي السابق فيه عماد مغنية وابن عمه وصهره مصطفى بدر الدين - الذي قتل في سوريا ويعتبر المتهم الرئيس في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري- بتدبير عمليات اختطاف طائرات كويتية ومحاولة اغتيال أمير الكويت لتحرير ١٦ لبنانيا وعراقيا آخرين أدينوا في نفس القضية[6].

وفي البحرين يرتبط الحزب بعلاقات وثيقة مع أطراف هناك قامت بأعمال إرهابية حيث تضبط

(١) وسام سعادة، هالة المقاومة التي نسجها حزب الله حول سلاحه، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤/٠٣/٢٤، ص ٠٥.

(٢) مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله والأزمة اللبنانية، تقرير الشرق الأوسط رقم ٦٩، ٢٠٠٧/١٠/١٠، ص ١٣.

(٣) فادي شامية وعلي الأمين وآخرون، هل الثورة السورية «محرقة» حزب الله؟!، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٤، ص ٦٦.

(٤) نصر الله يؤكد مشاركة مسلحي حزب الله في الصراع بالعراق، بي بي سي، ٢٠١٦/٠٢/١٦، على الرابط: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/02/150216_iraq_nasrallah_hezbollah

(٥) الحكومة اليمينية: عناصر حزب الله تحارب على أراضينا.. وتخطط لعمليات داخل السعودية، سي إن إن بالعربية، ٢٠١٦/٠٢/٢٤، على الرابط: http://arabic.cnn.com/middleeast/2016/02/24/yemen-hezbollah-saudi

(٦) نبذة عن القيادي البارز بحزب الله مصطفى بدر الدين، الذي قتل في تفجير بسوريا، بي بي سي ، ٢٠١٦/٠٥/١٣، على الرابط: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/05/160513_badreddine_profile

السلطات الأمنية البحرينية بين الفينة والأخرى العديد من الخلايا الإرهابية على صلة بحزب الله، فعلى سبيل المثال لا الحصر في مطلع السنة الجارية **أعلنت وزارة الداخلية البحرينية، عن إحباط مخطط إرهابي وضبط خلية إرهابية كانت تخطط لتنفيذ هجمات على أراضيها بدعم من الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني**[1].

الخلاصة:

رغم السجل الإجرامي الذي يحمله تاريخ حزب الله اللبناني إلا أنه لا يجد غضاضة أن يحاضر في المقاومة والتضحية والشرف محيطا نفسه بهالة أخلاقية، ولا ينفك عن توزيع الاتهامات بالعمالة والخيانة لكل من يقترب منه، بل حتى القتل والتنكيل إذا اقتضى الأمر ذلك. هذا ما تثبته وقائع تأسيس الحزب الذي رسم طريقه بدماء إخوانه «الشيعة» من حركة أمل، وغيره من شركائه في الوطن اللبناني، حتى أصبحت الدولة خاضعة لمطالبه بالإرهاب الذي طال زعماء سياسيين يتقدمهم رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، ومع اشتداد الأزمة السورية واضطراره للتصريح بأعماله هناك لم يتحرج زعيمه حسن نصر الله من دعوة اللبنانيين لتحييد لبنان والتقاتل في سوريا.

ولم يبتلَ لبنان وحده بجرائم هذه المليشيا الإرهابية بل امتدت أعمالها لتطال الكثير من الدول والمناطق خاصة العربية منها حيثما استطاع أن يجد موطئ قدم ولو بالتعاون مع الجريمة المنظمة والمخدرات كما في غرب إفريقيا وأمريكا اللاتينية، منفذا بذلك المصالح التي تسطرها إيران وتوكلها للحرس الثوري الإيراني ليوزع بدوره المهام على أذرعه.

وما ورد أعلاه ليس تاريخا شاملا لإرهاب حزب الله، فذلك لا تسعه مقالة واحدة ويحتاج لتفصيل أكثر، ولكنها إشارات ركزت على قضايا تجتمع فيها خصائص الجرم الإرهابي، حيث يستحيل تبرير أو تفسير تلك الأعمال خارج إطار الإرهاب بعدما سقطت كل الأوراق التي كان يتستر بها طيلة العقود الماضية.

ولكن رغم كل هذه الحقائق لا زالت نخبنا العربية والإسلامية تستحي من مخاطبته بالوصف الذي يليق به (الإرهاب) رغم أنها هي التي فتحت له الأبواب سابقا مخدوعة بشعار المقاومة ونصرة فلسطين.

(1) البحرين تعلن ضبط «خلية إرهابية» خططت لتنفيذ تفجيرات بدعم إيران وحزب الله، سي إن إن بالعربية، ٢٠١٦/٠١/٠٧، على الرابط:
http://arabic.cnn.com/middleeast/2016/01/06/bahrain-iran-linked-terror-cell-uncovered

إيران ورعاية الإرهاب... أمريكا والضحك على الذقون

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

لم يكد يمر عام على توقيع الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة الدول الست، والذي بموجبه - وفق تصور الدول الموقعة - يتم الحد من قدرات إيران النووية مقابل تخفيف العقوبات المفروضة عليها حتى أصدرت الخارجية الأمريكية تقريرها السنوي تحت عنوان «الأنشطة الإرهابية في جميع أنحاء العالم» والذي تحدث بلغة حاسمة عن دولة إيران باعتبارها الراعي الأول للإرهاب في العالم، الأمر الذي فتح الباب أمام طرح العديد من علامات الاستفهام، والتي كان من أبرزها التساؤل عن سبب إصرار الولايات المتحدة الأمريكية التي قادت توقيع الاتفاق مع إيران على أن تقع في تناقضات غير مفهومة.

ومن ثم كيف يمكن الحديث عن رفع

(*) كاتب مصري.

العقوبات الدولية عن إيران بموجب هذا الاتفاق النووي في الوقت الذي تمتلك فيه كل من واشنطن وغيرها من البلدان الأدلة والوثائق التي تؤكد تورط طهران في رعاية الإرهاب وأنها لا تتردد لحظة واحدة في أن تسخر كل إمكانياتها المادية والبشرية والأيدلوجية لدعم هذا الإرهاب؟ ثم كيف لأمريكا أن تتعهد لبلدان الخليج التي أبدت اعتراضها على توقيع الاتفاق النووي بأنها ستضمن أمنها وتوفير الحماية لها وهي تقر وتعترف عبر تقاريرها الرسمية أن إيران لا زالت الدولة الأولى عالميا في رعاية الإرهاب؟

الرؤية الأصح

ربما حظي توقيع الاتفاق النووي العام الماضي بقبول العديد من الأطراف انطلاقا من أن الحوار هو السبيل الأمثل لثني إيران عن استكمال برنامجها النووي ومن ثم تطويره بالشكل الذي يسمح لها بإنتاج أسلحة نووية تهدد المنطقة وتزيد حالة التوتر بها، وهو المسوغ الذي ارتضاه البعض على مضض، غير أنه في المقابل كان البعض الآخر يرى أن التوصل لهذا الاتفاق هو عين ما تطمح إليه إيران قبل غيرها حيث سيوفر لها أجواء يمكن عبرها أن تحقق ما لن تحققه حتى لو أنتجت السلاح النووي، خاصة وأن من توابع هذا الاتفاق استئناف إيران لتحركاتها الدولية بيسر وسهولة وتمكينها من استرداد أموالها المجمدة، التي يقدرها البعض بنحو ١٠٠ مليار دولار فضلا عن أن ثمة شكوكا فنية كبيرة أثيرت ولا تزال حول مدى فاعلية هذا الاتفاق في وقف إيران عن تنفيذ طموحها النووي.

والحقيقة أن هذه الرؤية الثانية اعتبرها المتعاطفون مع الاتفاق تعبيرا عن مخاوف لا أساس لها من الصحة ذلك أن المجتمع الدولي قادر على أن يكبح جماح إيران إذ يفترض أن الاتفاق سيعيدها إلى الحظيرة الدولية التي ستفرض عليها استحقاقات ملزمة، إذ ستكون تحت مراقبته لنحو عشر سنوات، وعليه فليس من مبرر لهذه المخاوف سوى تصاعد حدة التنافس المذهبي الذي تشهده العلاقات الإيرانية «ممثلة الشيعة» – الخليجية «التي تتبنى المذهب السني» خاصة مع المملكة العربية السعودية، غير أن هذا التصور لم يزحزح بلدان الخليج عن موقفها فكانت ولا زالت ترى أن سلوكيات وسياسات إيران في كل بقعة من المنطقة تؤكد صحة وجهة نظرها وأن الاتفاق الذي رحبت به الدول الست ليس إلا انتصارا دبلوماسيا لإيران ستستغله بطبيعة الحال لتبدو مزهوة ومنتشية أمام أنصارها فتحقق المزيد مما تطمح إليه، وهو ما كان لها بالفعل.

غير أنه وبقدر الانزعاج الذي أبدته بعض البلدان، وفي مقدمتها دول الخليج، من توقيع الاتفاق النووي بالقدر الذي كان يراود الجميع الأمل في نجاح عملية احتواء إيران وإلزامها باحترام سيادة الآخرين وعدم التدخل في شئون الغير، وهو الأمل الذي لم تعط إيران ولو شاهدا واحدا على إمكانية تحقيقه، بل إنه وباستقراء سريع لكل مواقف طهران سواء قبل لحظة توقيع الاتفاق أو خلالها أو حتى بعدها مباشرة يثبت العكس تماما إذ لم تتوقف الدولة الإيرانية عن مواصلة ممارساتها التي تمثل انتهاكا صريحا واستفزازا لكل دول المنطقة بالدرجة التي دفعت إلى زيادة توتير المنطقة وإدخالها في حروب وصراعات لا يمكن أن يتكهن أحد بمساراتها أو نتائجها.

تأكيد أمريكي

هذه القناعة الخليجية لم تكن مصادرة للمستقبل بل قراءة واقعية لحال إيران وهي النتيجة التي أكدتها بالفعل الخارجية الأمريكية نفسها والتي أعلنتها عبر تقريرها السنوي حول الإرهاب إذ خصصت الفصل الثالث من التقرير والذي حمل عنوان «نظرة عامة على الدول الراعية للإرهاب» للحديث عن البلدان التي ترعى الإرهاب والتي جاء في مقدمتها الدولة الإيرانية.

والغريب أن التقرير تحدث عن أن اتهام إيران برعاية الإرهاب يعود للسنوات الأولى لتأسيس دولة الخميني فيقول «إن إيران تم تصنيفها كدولة راعية

للإرهـاب في عـام ١٩٨٤ وقـد اسـتمر نـشاط إيـران المتعلـق بالإرهـاب في عـام ٢٠١٥»، مـشيرا إلى اسـتمرار دعـم إيـران لحـزب الله ومجموعـات متعـددة في العـراق وأخـرى داخـل منطقـة الـشرق الأوسـط بـل «إن المـساعدات الإيرانيـة لهـذه الجماعـات قـد زاد عـام ٢٠١٥» وهـو مـا يعـني أن النظـرة الأمريكيـة لإيـران لم تـتغير منـذ العـام ٨٤ وحتـى الآن، فمـا الـذي دفـع واشنطن إلى أن تتحمس إذا لتوقيع الاتفاق النووي؟

كمـا أوضـح التقريـر أن «إيـران اسـتخدمت الحـرس الثـوري الإيرانـي «فيلـق القـدس» لتنفيـذ أهـداف سياسـتها الخارجيـة وللتمويـه علـى العمليـات المخابراتيـة الـتي تـضطلع بهـا قواتهـا متـسببة في زعزعـة اسـتقرار منطقـة الـشرق الأوسـط»، مؤكـدا أن «فيلـق القـدس» يعـد ذراع إيـران الأساسـية في رعايـة ودعـم الإرهابيين بالخارج.

وكـشف التقريـر كـذلك عـن أن إيـران تَعتـبر نظـام الأسـد في سـوريا حليفهـا المهـم وركيزتهـا في جبهـة المقاومـة جنبـا إلى جنـب مـع الجماعـات المتمـردة المتعاونـة معهـا وحلقـة التواصـل الرئيـسية مـع حـزب الله المنتفـع الأساسـي مـن تقويـة العلاقـات مـع إيـران وشـريكها الإرهـابي، وبالإضـافة إلى دعمهـا المـستمر لحـزب الله في سـوريا فإنهـا مـستمرة في تقـديم الـسلاح والمـال والتـدريب للمقـاتلين الـشيعة في العـراق وأفغانـستان وباكـستان لـدعم نظـام الأسـد الـدموي الـذي تـسبب في مقتـل أكثـر مـن ٢٥٠ ألـف مـواطن سـوري، لافتـا إلى أن إيـران بـدأت في الاعـتراف بمقتـل قـادة إيـرانيين بـارزين في سـوريا عـام ٢٠١٥ والاعـتراف بزيـادة القـوات الإيرانيـة هنـاك، وذلـك في الوقـت الـتي تـستمر فيـه الإدعـاء بـأن دور القـوات الإيرانيـة منحـصر في تقديم المشورة.

وحـول الـدور الإيرانـي في العـراق، قـال التقريـر إن القـوات المقاتلـة الإيرانيـة تنـشر الـصواريخ وقـوات المدفعيـة والطـائرات بـدون طيـار لمقاتلـة تنظـيم داعـش وقـد زادت مـن تـسليحها وتمويلـها للإرهـابيين الـشيعة العـراقيين كمحاولـة لوقـف انتـصارات (داعـش) في العـراق مـضيفا أن العديـد مـن هـذه المجموعـات مثـل كتائـب حـزب الله تفـاقم مـن التـوتر الطـائفي في العـراق وتقـوم بانتهاكـات خطـيرة ضـد حقـوق المـدنيين الـسنة فيمـا يقـوم «فيلـق القـدس» بالتـسيق مـع حـزب الله بتـدريب المقـاتلين خـارج العـراق وتقـديم الـدعم والمـشورة داخـل العـراق للميليـشيات الـشيعية لبنـاء واستخدام الأسلحة المتطورة.

وأشـار التقريـر إلى أن إيـران تقـدم الأسـلحة وتمـول وتـدرب الميليـشيات الـشيعية في البحـرين إذ أن حكومـة البحـرين اكتـشفت في عـام ٢٠١٥ العديـد مـن الأسـلحة والأمـوال الـتي ترعاهـا إيـران داخلـها كمـا اكتـشفت مخبـأ لتـصنيع القنابـل يحـوي ١,٥ طن من المواد شديدة التفجير في شهر سبتمبر.

ولفـت التقريـر إلى أن إيـران سـاهمت في إعـادة بنـاء حـزب الله مـرة أخـرى بعـد حربـه مـع «إسـرائيل» عـام ٢٠٠٦ حيـث قـدمت مئـات الملايـين مـن الـدولارات لـدعم الحـزب فيمـا قامـت بتـدريب الآلاف مـن مقاتليـه في مخيمـات خاصـة داخـل إيـران كمـا أن هـؤلاء المقـاتلين المـدرّبين قـاموا باسـتخدام هـذه المهـارات في دعم نظام الأسد بشكل مباشر في سوريا.

وأكـد التقريـر أن إيـران لا تـزال مـستمرة في احتجـاز قـادة بـارزين لتنظـيم القاعـدة في سـجونها وغـير راغبـة في محـاكمتهم بـل وتـرفض تحديـد هويـاتهم علـى المـلأ، مـضيفا أن إيـران سمحـت في الـسابق لأعـضاء مـن تنظـيم القاعـدة بتـشغيل خـط عبـور عـبر أراضـيها منـذ عـام ٢٠٠٩ - علـى أقـل تقـدير- ممـا مكـن تنظـيم القاعـدة مـن نقـل الأمـوال والمقاتلين إلى سوريا وجنوب آسيا.

وبعيـدا عـن أي تأويـل أو اسـتنتاج فـإن التقريـر - وكمـا هـو واضـح- يكـشف عـن الكـثير ممـا تورطـت ولا زالـت تتـورط فيـه إيـران في العـراق والبحـرين وسـوريا، فـضلا عـن دعـم حـزب الله اللبنـاني والميليـشيات العراقيـة الـشيعية المـسلحة وبعـض التنظيمـات الـشيعية الأجنبيـة الـتي تقاتـل في سـوريا فـضلا عـن العمليـات الـتي يقـوم بهـا الحـرس الثـوري «فيلـق القـدس» والـتي باتـت معلومـة للجميـع، مـا يـدلل دلالـة قاطعـة علـى أن إيـران لا ترغـب في

تحقيق السلام أو الاستقرار في المنطقة الأمر الذي يثير الريبة حول نواياها الحقيقية من وراء استئناف برامجها النووية وأن ذريعة الاستخدام السلمي لم تكن لتنطلي على بلدان الإقليم التي تستشعر خطرا دائما من قبلها.

ما الأمر؟

إنه وعلى الرغم من أن التقرير الأمريكي تجاهل العديد من الملفات التي تورطت فيها إيران بشأن رعايتها للإرهاب وفي مقدمة ذلك الملف اليمني مثلا حيث دعْمها المادي واللوجستي للمتمردين الحوثيين فضلا عن دعمها المباشر وغير المباشر لبعض التنظيمات المسلحة في العديد من البلدان العربية والإسلامية واستمرار احتلال الجزر الإماراتية إلا أن ما أشار إليه التقرير يعد في حد ذاته إدانة لأمريكا قبل إدانة إيران إذ يعني نشر هذا التقرير ببساطة شديدة أن تورط أمريكا ومعها مجموعة بقية الدول الست في توقيع اتفاق مع إيران يسمح لها باستئناف نشاطها النووي حتى لو كان تحت رقابة دولية لم يكن إلا ضوء أخضر لها بالاستمرار فيما هي عليه من دعم الإرهاب وممارسته وهو النهج الذي - وفق ما جاء في التقرير- لم تتوقف عنه إيران لحظة واحدة.

ونظرة إلى التقرير تكشف لنا عن أن أمريكا تصر على أن تعيش في حالة تناقض وازدواجية، فديباجة الفصل الثالث من التقرير الأمريكي تحدد كيف يمكن التعاطي مع الدول التي يتم تصنيفها على أنها راعية للإرهاب فيقول «لكي نصنف دولة على أنها دولة راعية للإرهاب فإنه يتعين على وزير الخارجية الأمريكي أن يؤكد أن حكومة هذه الدولة تقدم الدعم للأعمال الإرهابية الدولية على نحو متكرر، وبمجرد أن يتم تصنيف الدولة على أنها راعية للإرهاب فإنها تظل موسومة بهذا الوصف إلى أن يتم إلغاء هذا التصنيف وفقا للمعايير الدولية المعترف بها ويتم فرض العديد من العقوبات على هذه الدولة كنتيجة لتصنيفها دولة راعية للإرهاب».

وما ذهب إليه التقرير هو ما ينطبق جملة وتفصيلا على إيران التي لم تغادر الإرهاب منذ العام ١٩٨٤ بحسب تأكيداته فما الذي يفترض أن تفعله أمريكا وغيرها بحق أي دولة تتورط في هذا؟

بحسب ما جاء في التقرير فإن حزمة من العقوبات التي يمكن أن تشمل هذه الدولة المتهمة برعاية الإرهاب ومنها:

١- حظر الصادرات والواردات ذات العلاقة بالأسلحة.

٢- فرض رقابة على الصادرات من المنتجات ذات الاستخدام المزدوج وهو الأمر الذي يتطلب إعلام الكونجرس قبلها بثلاثين يوما عن المنتجات أو الخدمات التي من شأنها تعزيز القدرات العسكرية للدول الراعية للإرهاب أو دعم الإرهاب ذاته.

٣- حظر المساعدات الاقتصادية وفرض قيود مالية مع أنواع أخرى متعددة من الحظر والمنع على هذه الدول.

ولا شك أن هذه الحزمة من العقوبات ربما تساهم في حقيقة الأمر في الحد من قدرات الدولة المتهمة ودفعها دفعا للإقلاع عن الاستمرار في أعمالها المشينة غير أن تطبيق هذه العقوبات هو مما يتنافى مع الطريقة التي تنوي أمريكا وبقية الدول الست أن تتعاطى بها مع إيران إذ كان الدافع الأهم وراء توقيع إيران لهذا الاتفاق هو تخفيف العقوبات وإلغاء الحظر على الأموال المجمدة فهل سيتم تطبيق العقوبات وتجاهل الاتفاق أم سيتم تفادي تطبيقها ومن ثم يكون تقرير الإرهاب كأنه لم يكن ويكون غير ذي جدوى، فتواصل إيران سلوكها الإرهابي دون أن تخشى ردة فعل المجتمع الدولي بل وتحظى بحمايته؟

ولا يفوت التقرير أن يوضح كيفية إلغاء استمرار تصنيف الدولة كراعية للإرهاب والتي حددها في طريقتين هما:

أولا: تسليم الرئيس الأمريكي تقريرا للكونجرس قبل إلغاء التصنيف المقترح بمصادقته

على ما يلي:

٤- أن هناك تغيرا جوهريا في قيادة وسياسات حكومة الدولة المعنية.

٥- أن الدولة توقفت عن دعم أعمال الإرهاب الدولي.

٦- أن الدولة أكدت على أنها لن تقوم بدعم الأعمال الإرهابية الدولية في المستقبل.

ثانيا: تسليم الرئيس الأمريكي تقريرا للكونجرس قبل ٤٥ يوما على الأقل قبل أن يدخل الإلغاء المحتمل حيز التنفيذ موضحا مبررات الإلغاء ومصادقا على ما يلي:

٧- أن الحكومة المعنية لم تقدم أي نوع من أنواع الدعم للإرهاب الدولي خلال فترة ٦ أشهر سابقة.

٨- أن الحكومة المعنية قدمت تأكيدا على أنها لن تقوم بدعم أعمال الإرهاب الدولي في المستقبل.

فهل التزمت إيران بأي مما ورد في التقرير حتى يتم إلغاء تصنيفها واعتبارها دولة داعمة وراعية للإرهاب، الواقع يقول إن هذا لم يحدث حتى الآن وأن إيران ما زالت ومنذ نشأة الدولة الخمينية ضالعة في دعم الإرهاب ورعايته بل وتتبنى الدولة ذاتها الإرهاب في تحدٍّ واستفزاز لكل بلدان المنطقة وهو ما أقرّ به التقرير.

الحقيقة أنه من السذاجة القبول بأن الخارجية الأمريكية جادة فيما طرحته بتقريرها بشأن إيران وأن الأمر لا يعدو مجرد محاولة لتسجيل موقف وامتصاص غضب بعض البلدان إذ الجميع يدرك أن صدور هذا التقرير لن يكون له تداعيات حقيقية توقف إيران عند حدها خاصة وأن متابعة الموقف تكشف عن أن الكثير من المواقف الأمريكية، بل والغربية، في عمومها تدعم بعض السياسات الإيرانية فالطيران الأمريكي هو من يوفر الغطاء الجوي لمعركة القوات الموالية لإيران في منطقة الفلوجة والتي بحسب تأكيد العديد من التقارير من مصادر متعددة أسقطت الكثير من الضحايا السنة تحت ذريعة محاربة تنظيم «داعش» وهو نفس السيناريو الذي حدث في معركة «تكريت» من قبل، على الرغم من أن الجميع يعلم أن «داعش» لم تمس إيران من قريب أو من بعيد وأعلنت هذا صراحة في بياناتها.

وقد ذهب إلى هذا الرأي وأكده كبير محرري مجلة ويكلي ستاندارد الأمريكية اليمينية المحافظة لي سميث والذي قال: «إن إدارة أوباما جمعت المصالح الأمريكية والإيرانية في حزمة واحدة، ورغم أن البيت الأبيض يقول إنه يقاتل تنظيم الدولة إلا أن شركاءه الإيرانيين والمدعومين من طهران يقولون إن هذه الحرب هي للانتقام من السنة».

ويستشهد الكاتب بتصريح عدائي حاقد لقائد ميليشيات شيعية تدعمها إيران أن «لا وجود لوطنيين حقيقيين ولا مسلمين حقيقيين في الفلوجة ... إنها فرصتنا لتنظيف العراق باستئصال سرطان الفلوجة».

بل ويتمادى الكاتب الأمريكي «سيمث» في تحليله ليؤكد أن سلوك الإدارة الأمريكية يخالف منطق الأشياء وأن ذلك ليس إلا لإرضاء ملالي إيران فيقول: «وللقضاء على تنظيم داعش فإن على الولايات المتحدة التحرك ضد الميلشيات الشيعية التي تمارس الإرهاب ضد السنة «ولكن هذا لن يحصل مع هذا البيت الأبيض للأسباب نفسها التي منعت الإدارة الأمريكية من التحرك لخلع الرئيس السوري بشار الأسد، ذلك أن أوباما لا يريد إغضاب الأسياد الإيرانيين».

ويشير الكاتب إلى أن الولايات المتحدة لا تستطيع الانتصار في الحملة ضد داعش بالانحياز إلى الإيرانيين معتبراً أنها حرب زائفة وحملة البيت الأبيض على التنظيم هي غطاء لإعادة اصطفاف سياسي.

وبالإضافة إلى الكلام الخطير الذي قاله سيمث فإن الموقف الأمريكي من تطورات الوضع في سوريا يؤكد أن كل الرياح الأمريكية سارت

في الاتجاه الذي تشتهيه طهران، فالولايات المتحدة الأمريكية ورغم إعلانها في بداية الأمر عن انحيازها للثورة السورية ورغبتها في الإطاحة بنظام الأسد إلا أنها لم تعمل على أرض الواقع، فهي من ناحية لم تحسم المعركة بتوفير السلاح النوعي بيد الثوار السوريين، بل ظل الدعم الأمريكي للثوار في حدود تطيل أمد الحرب ولا تحسمها وثانيا أن الموقف الأمريكي بدأ في التراجع حيث الحديث عن حل سلمي وتفاوض سياسي مع النظام.

وأخيرا يبقى السؤال: ماذا تريد كل من أمريكا وإيران؟

العرب والهلال الشيعي... وعي مبكر نسبياً وتحرّك متأخرا!

سعيد السويدي(*) – خاص بالراصد

يعتقد البعض أن مصطلح «الهلال الشيعي» ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، إلا أن الواقع غير ذلك، فقد تكرر التحذير من تشكل حلف شيعي يمتد من إيران إلى لبنان عدة مرات منذ عام ١٩٧٩ ولغاية ٢٠٠٤.

واللافت للنظر أن العرب الذين أطلقوا هذه التحذيرات ينتمون إلى مناهج فكرية وسياسية متباينة لكنها تشترك في الوعي تجاه خطر التوسع الشيعي في البلاد السنية. وفيما يلي استعراض لهذه التحذيرات من خطر المشروع الإيراني الشيعي:

١- الدكتور فاضل البراك[1]

يقول في كتابه (تحالفات الأضداد): «تشير بعض الدراسات المعاصرة إلى أن الشاه المخلوع قام بتدشين حزب الدعوة وفرعه المرتبط به (حركة أمل بلبنان) وذلك بغية إنشاء محور طائفي في صورة قوس كبير يشق العالم العربي ويفصل بين أطرافه يتكون من إيران، العراق، لبنان»[2].

بصرف النظر عن دقة المعلومات الواردة عن علاقة الشاه بهلوي بتأسيس حركة أمل اللبنانية وحزب الدعوة العراقي وعن طبيعة العلاقة بين هاتين الحركتين اللتين تجتمعان مع الشاه في محاربة المحور الشيوعي، فالمهم أن فكرة الهلال الشيعي طُرحت في ثمانينيات القرن الماضي قبل أن يظهر الوجه الديني الطائفي للنظام الإيراني.

٢- الدكتور سفر الحوالي

يعتبر الدكتور سفر الحوالي من أبرز الذين حذروا من تداعيات الوجود الأمريكي في الخليج بعد الاحتلال العراقي للكويت (آب/ أغسطس ١٩٩٠)، وأصدر كتابه المشهور (وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج) في تلك الفترة، وكان يعتقد أن الولايات المتحدة لم تأت بجيوشها من أجل تحرير الكويت وإنما لفرض واقع سياسي جديد وتشكيل تحالفات إقليمية موالية لها لتعزز هيمنتها على المنطقة الغنية بالنفط، يقول في كتابه المذكور: «إنها بداية تشكيل القوس خلفاً لحلف بغداد[3]، لكن ليست المشكلة هنا فحسب بل لها جانب آخر خفي أشارت إليه بعض المصادر الأمريكية أثناء أحداث أذربيجان حيث تحدثت عن تفكيك الإمبراطورية السوفيتية مقترحة ضم المناطق الشيعية إلى إيران وضم المناطق السنية إلى تركيا وضم أفغانستان إلى باكستان.

فإذا ضممنا هذا إلى عمود التحالف الذي يراد إنشاؤه وبين دول الخليج وأمريكا من جهة وبين عمود التحالف الآخر (مصر- إسرائيل- سورية) من جهة أخرى وضممنا إليه ما نادى به بعض مخططي السياسة الأمريكية من إعطاء إيران الثورة الأفضلية بدلاً من العراق ودول الخليج مستندين في قولهم إلى أن مناطق النفط تسكنها غالبية شيعية.

(*) كاتب عراقي.

(١) مدير الأمن العام ورئيس جهاز المخابرات العراقية في الثمانينيات من القرن العشرين.

(٢) تحالفات الاضداد، ص ٩٣، هامش ٨٩.

(٣) تحالف نشأ بين باكستان وتركيا وإيران والعراق والمملكة المتحدة عام ١٩٥٥ لمواجهة المد الشيوعي.

إذا تصورنا ذلك أدركنا خطراً كبيراً يهدد المنطقة في حالة تدمير العراق وإحلال التحالف الشيعي محلّه (إيران- سوريا- العراق الذي سيصبح دولة شيعية بعد فصل الأكراد- ثم بقية المناطق الخليجية كالبحرين والإمارات وشرق السعودية- والوجود الشيعي واضح فيها، ولا ننسى أن نذكر أن كثيراً من الناطقين بالعربية في جنوب تركيا من النصيرية أيضاً، أما باكستان فكثير من قادة جيشها الكبار شيعة ومعهم إخوانهم القاديانية والبريلوية).

إنها مصيبة عظمى لو أصبح هذا القوس الكبير قوساً رافضياً يهودياً توجهه الصليبية الغربية المتحالفة»[1].

اعتبر الشيخ سفر الحوالي أن القوس الشيعي سيكون الجزء الأهم في حلف إقليمي كبير يخدم المصالح الامريكية والإسرائيلية، ولم يكن التركيز على الهلال الشيعي كخطر مستقل بذاته لأن إيران في تلك الفترة كانت في حالة كبيرة من الضعف بعد خروجها مثقلة بالخسائر من حربها على العراق، كما أن الحدث الأساسي في تلك الفترة كان مستقبل الوجود الأمريكي منطقة الخليج بعد انتهاء الحرب.

وفي العموم كان تحذير الشيخ الحوالي عام ١٩٩١ توقعا مبكرا لقيام تحالف غربي – شيعي بعد تدمير العراق وإسقاط حكومته، وهو الواقع الذي نعيشه منذ (نيسان ٢٠٠٣).

٣- الملك عبد الله الثاني

اقترن مصطلح الهلال الشيعي بتحذير الملك عبد الله الثاني من قيام حكومة دينية في العراق موالية لإيران وذلك في الفترة التي سبقت الانتخابات العراقية الأولى (كانون الثاني ٢٠٠٥)، حينها قال العاهل الأردني، إن ما يزيد على المليون إيراني عبروا الحدود إلى العراق، والكثير منهم بغرض المشاركة في الانتخابات بتشجيع من الحكومة الإيرانية. وقال في مقابلة معه (أنا واثق من أن هناك الكثير من الأشخاص، الكثير منهم إيرانيون، ممن سيستخدمون في التصويت للتأثير على نتيجة الانتخابات).

واتهم الملك عبد الله الثاني أيضا الإيرانيين بدفع الرواتب وتوفير المؤن لعراقيين عاطلين عن العمل من أجل كسب رأي عام مؤيد لإيران داخل العراق، وأضاف أن بعض الإيرانيين تلقوا تدريبات على أيدي الحرس الثوري الإيراني، وهم أعضاء في المليشيات التي يمكن أن تثير المشاكل في العراق بعد الانتخابات.

وقال الملك عبد الله الثاني إن (من مصلحة إيران قيام جمهورية إسلامية في العراق، وبالتالي فإن جهود الإيرانيين تتجه نحو التوصل إلى حكومة مؤيدة لإيران)، وأضاف (**إنه إذا ما أفلحت الأحزاب أو السياسيون المؤيدون لإيران في الهيمنة على الحكومة العراقية الجديدة فإن هلالاً من الحركات أو الحكومات الشيعية يمكن أن تمتد من إيران إلى العراق وسورية ولبنان وتغير التوازن التقليدي للسلطة بين الطائفتين الإسلاميتين الرئيسيتين وتطرح تحديات جديدة أمام مصالح الولايات المتحدة وحلفائها**).

وأضاف الملك عبد الله أنه (إذا ما أصبح العراق جمهورية إسلامية نكون عندئذ قد فتحنا أنفسنا على طائفة شاملة من المشاكل الجديدة التي لن تقتصر على الحدود العراقية)[2].

هذه التصريحات سبقت أحداث العنف الطائفي وظهور فرق الموت الشيعية خلال الفترة ٢٠٠٥ - ٢٠٠٧، كما أنها سمت الأشياء بمسمياتها الحقيقية حيث أدرجت سوريا ضمن الدول الشيعية لأنها تخضع لنظام شيعي (علوي) طائفي وليس

(١) وعد كيسنجر، ص ٣٧- ٣٨.

(٢) By Robin Wright and Peter Baker , **Iraq, Jordan See Threat To Election From Iran** , Washington Post ,8 December, 2004.

علمانيا محايدا، وكذلك لبنان الذي يبدو النظام السياسي فيه قائما على الشراكة بين طوائفه الأساسية (السنة والشيعة والموارنة) إلا أن الحاكم الفعلي هو حزب الله.

لماذا تأخر العرب عن مواجهة المخطط الشيعي؟

قد يتساءل البعض: لماذا لم يكن العمل العربي متناسباً مع الوعي بحجم الخطر الإيراني؟، ولا شك أن الجواب على هذا السؤال الكبير يتطلب تتبعاً دقيقاً للأسباب والعوامل التي جعلت العرب لا يواجهون هذا الخطر برغم الوعي، لكني سأسلط الضوء على ما اعتبره أهم الأسباب من وجهة نظري، وهو غياب الرؤية السياسية والعقدية للمواجهة.

لم يعد سراً أن إيران تملك رؤية للتوسع السياسي والمذهبي في البلاد العربية، ولعلّ الذي يغري حكام إيران بالمضي في مشروعهم - رغم كثرة التحديات والمعيقات التي واجهوها- هو غياب المشروع العربي المتصدي لمساعيها.

فالعلمانيون العرب لا يؤمنون بحقيقة الصراع الديني المذهبي بين السنة والشيعة بل يزعمون أن إيران تُسيس المذهب وتستغله لمصالحها، وبالتالي فهم لا يتقنون أدوات الصراع المذهبي ولذلك نجدهم يعوّلون على الشيعة العرب لمواجهة نفوذ إيران، أو يسعون إلى تحالفات سياسية عابرة للطائفية، ولا يحسنون التعاون مع القوى الإسلامية – والسلفية - من أجل وقف زحف الأفكار والشبهات الشيعية.

وهم في كل الاحوال متأخرون بمراحل عن التحرك الإيراني الذي يفرض الواقع الذي يريد.

أما الإسلاميون فلا يتفقون على رؤية واحدة تجاه خطر إيران، فمنهم المتهاون واللامبالي، ومنهم من لا يعتقد بوجود خلاف جوهري بين السنة والشيعة، ومنهم من يقتنع بوجود الخطر لكنه لا يملك الأدوات العملية لمواجهته، ومنهم من يقتنع بوجود الخطر لكنه لا يوليه الاهتمام الملائم ويعتقد أن هناك تحديات سياسية لها أولوية مقدمة على خطر إيران.

هل فُهمت اللعبة؟ هذه وظيفة داعش!

صباح العجاج(*)– خاص بالراصد

ربما لا يزال بعض الناس يظن أنّ داعش حركة مُستقلة تتمدد وفق رؤيتها وأجندتها، وأنّ الذي يحصل على الأرض في العراق وسوريا وليبيا وغيرها من البلاد هو تحرك عادي من حركة مُتطرفة، وأنّ داعش يمكن لها أن تضرب في أوربا وأمريكا وتتنقل هنا وهناك بكل سهولة ويسر، وأنها خلف كل التفجيرات هنا وهناك!

نعم تستطيع منظمة متطرفة أو غير متطرفة أن تلعب دورًا محليا محدودًا، لكن أن تتوسع تحت أنظار العالم هكذا؟ فهذا أمر يحتاج إلى تأمل.

ثمة توافق بين غالب المحللين على أنّ هناك مصلحة غربية من وجود داعش وتمددها، لكن الدور المتضارب لداعش في كل بلد يجعل هدفها الحقيقي غائماً وغير واضح في أذهان البعض، ويصدّق صورتها الإسلامية المتشددة!

لقد لعبت داعش دورًا في العراق مغايرًا لما لعبته في سوريا؛ ففي سوريا عملت ضد الثورة لصالح النظام وخدمته في تعطيل وإرباك الثورة، في حين تعمل في العراق (بالظاهر) ضد إيران والحشد الشيعي بينما تتجذر الهيمنة الإيرانية والميلشيات الشيعية في العراق بسبب سياسات داعش في الحقيقة، لذلك تتولد قناعات لدى البعض متناقضة وغير مفهومة حول حقيقة ما تريده داعش.

هذا المقال لا يمكنه الإجابة بشكل كامل عن حقيقة دور وهدف داعش، لكنه يساهم في

(*) كاتب عراقي.

تسليط الضوء على جوانب تساعد في فهم حقيقة داعش، والتي تحتاج إلى العديد من الدراسات والبحوث.

تركيبة داعش:

بدايةً لا بد من استحضار تركيبة هذه المنظومة (داعش)؛ فهي منظومة متولدة من حركات متطرفة سُنية سبقتها، وهي تطور وامتداد لفكر الزرقاوي والقاعدة في العراق الذي ظهر بعد الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣، في جانب الفكر والغلو الديني، وفي الجانب الحركي والسياسي والعسكري كان لانضمام قيادات عسكرية من ضُباط ورجال أمن بعثيين عراقيين منذ أكثر من عشر سنين في تنظيم الزرقاوي وبعض المجموعات الأخرى دور كبير في ظهور فكرة الدولة ثم الخلافة، كانت غاية هؤلاء البعثيين من اختراق جماعات التطرف والغلو هي استخدام هذه الجماعات المتطرفة التي لمسوا صلابتها في معتقلات الأمريكيين في العراق لضرب إيران والانتقام منها لمساعدتها في إسقاط العراق بيد أمريكا؛ فضلا عن ضرب أمريكا المحتلة.

بعد مقتل الزرقاوي سنة ٢٠٠٦م، خَططت هذه القيادات العسكرية البعثية بعناية للسيطرة والهيمنة على هذه الجماعات المتطرفة، فكان لابد من مشروع يعزل هذه الجماعات في العراق عن تنظيم القاعدة المرجع لهم، فجاءت فكرة إعلان الدولة الإسلامية لتنفصل هذه الجماعات بالعراق عن القاعدة؛ لأنّ القاعدة لا تُفكّر في إنشاء دولة حاليا ولا تستطيع ذلك؛ ومن ثم تطورت إلى فكرة إعلان الخلافة للهيمنة على كل الجماعات بما فيها تنظيم القاعدة وإمارة طالبان!

لكن هذه الجماعة المتولدة من مجموعة من المتطرفين ومجموعة من الضباط العراقيين البعثيين تم اختراقها سريعاً وتوظيفها لصالح عدّة أجندات محلية وإقليمية ودولية، منها إيران والنظام السوري، والغرب (الأوربي والأمريكي) وروسيا.

ما هي الأدوار التي قامت بها داعش خلال السنوات الثلاث الماضية:

ربما للجواب عن هذا الأمر لا بد من معرفة بعض الحقائق في البداية عن نشأة داعش، وتحديد المستفيد من تحركاتها، ولا يلتفت إلى حجم التناقضات في ظاهرة داعش، فربما تكون هذه التناقضات مقصودة أو سببها كثرة المتدخلين في القرار الأساسي لداعش.

١- ظهرت داعش بعد سنتين ونصف من الثورة السورية وساهمت بشكل جلي بضرب كل الفصائل السورية المعارضة، ولم تسيطر على مناطق من النظام بل سرقت جهود الثورة السورية.

٢- ظهور داعش مُهد له بالعراق بالتعاون مع النظام السوري، فقد سهل رئيس الوزراء السابق نوري المالكي، بشكل واضح، هروب قادة داعش من عدد من السجون في تكريت وسجن أبو غريب، حيث هرب فقط قادة داعش ووصلوا لسوريا، بينما ترك بقية المعتقلين داخل السجون ومنهم من تمت تصفيته.

٣- تواطؤ الجيش العراقي المكون من ثلاثين ألف مقاتل في الموصل بالانسحاب من وجه مئات من أفراد داعش تبعا لأوامر نوري المالكي واضح لا لبس فيه.

٤- سيارات داعش (الدفع الرباعي اليابانية السوداء) التي استعملتها في دخول الموصل كانت مستوردة للحكومة العراقية (نوري المالكي) وهذا ما صرّحت به شركة تويوتا في التحقيقات الأمريكية.

٥- العلاقة المشبوهة بين داعش من جهة والجيش العراقي والحشد الشيعي في بعض مناطق التماس يعرفه المحللون العراقيون.

٦- تسليم داعش محافظة ديالى لهادي العامري نائب رئيس الحشد الشيعي مقابل مليار دولار، كما كشف ذلك سليم الجبوري، رئيس مجلس النواب العراقي، ومسعود بارزاني، رئيس إقليم

كردستان العراق.

٧- معارك تكريت والفلوجة كانت معارك سهلة بينما كان التخوف كبيرا منها، وقد كشف في معارك الفلوجة أن قيادات داعش هربت وتركت البسطاء والانتحاريين، وكان هناك تسهيل لهروبهم ولم يوثق إعلام الشيعة قتلى وآليات لداعش في الفلوجة.

٨- في سوريا عندما ينفد سلاح داعش يتعمد النظام أن يخسر معركة ويترك كميات كبيرة من السلاح لداعش كغنائم.

٩- كُشف في العراق أن هناك طائرات مجهولة الهوية أنزلت أسلحة وأموالا لداعش عدّة مرات.

١٠- سيناريو ما يجري في العراق واضح لكشف لعبة داعش؛ حيث ضحّت إيران وحشدها بعدد من القتلى[1] لكنّها بالمقابل سيطرت على مناطق السُنة وفق مخطط مُعد له سلفا مع الأمريكان، وستهجّر كل المحافظات السُنية العراقية تمهيدا لمخطط متفق عليه بين الطرفين (الإيراني والأمريكي).

١١- ما كان للحكومة العراقية وإيران تأسيس الحشد الشعبي لولا ذريعة داعش، ومثلما كان تفجير القبتين في سامراء سنة ٢٠٠٦ ذريعة أمريكية إيرانية مع القاعدة بُغية تسهيل تهجير السُنة وذبح عدد كبير منهم وتفجير مساجدهم.

١٢- في سوريا، النظام لا يقصف ويحرق حقول القمح في مناطق داعش، لكن ما أن تسيطر على الحقول مجموعات الجيش الحر حتى يقصفها النظام السوري ويحرقها.

١٣- داعش كانت ذريعة جيدة للكرد كذلك لتشكيل منطقة فاصلة كردية بين سوريا وتركيا، وللتوسع في العراق.

١٤- داعش يبيع النفط للنظام السوري ودول الجوار، بعمليات مكشوفة، وصفقات مفضوحة.

١٥- الغرب حريص على بقاء داعش؛ وقد صرح أن القضاء عليها يحتاج إلى ٢٠ سنة، وهذا ضحك على الذقون، فقد تمكنت الصحوات في العراق من القضاء على القاعدة، لولا أن أنقذها نوري المالكي بإضعاف الصحوات، كما أن جيش الإسلام في سوريا قضى على داعش في الغوطة.

١٦- تفجيرات أوربا اليوم وتهديدات داعش لها، يخدم صعود اليمين المتطرف في أوربا وأمريكا، مثلما كانت ضربة ١١ سبتمبر ذريعة لاحتلال أفغانستان والعراق.

١٧- هناك تواطؤ روسي أمريكي إيراني واضح في الترتيب مع داعش.

١٨- تنقّل أفراد داعش بين سوريا والعراق إلى ليبيا وسيناء مع المحافظة على هيئتهم المميزة (لحية كبيرة وشعر طويل) بأعداد غفيرة دون اعتراض من قوى الأمن كيف يتم؟!

١٩- الأفلام البشعة وطريقة القتل، والتقنية والميديا المحترفة في إنتاج الأفلام المشوهة للإسلام وتشويه فكرة الخلافة والدين والدعوة السلفية، خدمة مجانية لأعداء الإسلام.

٢٠- ترك مواقع داعش الإلكترونية مفتوحة تغرر بالشباب في كل دولنا وعدم إغلاقها، سواء محليا أو عالميا.

٢١- داعش تتبنى تفجيرات تنفذها الحكومة العراقية والحشد الشيعي، وتتبنى كذلك تفجيرات النظام السوري.

وغير ذلك من الدلائل لا بد من فهمها، لفهم لعبة وجود داعش وتوظيف التيارات المتشددة، في خدمة الهدف الغربي الإيراني في مناطقنا، والمخططات التي يراد رسمها في المنطقة.

(١) وهذا ليس غريبا، فقد فجر اليهود قنابل في العراق في الأربعينيات من القرن الماضي ضد اليهود، وقُتل عدد منهم مقابل تسفيرهم إلى فلسطين. وتبين أن اليهود وراء ذلك.

النفوذ الإيراني في قطاع غزة الشواهد والدلالات

عرض أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

هذه دراسة فريدة في موضوعها وبابها، وقام بها الباحث الغزّي د. عدنان أبو عامر، وهو متخصص في الشأن الفلسطيني ومحسوب على التيار الإسلامي مما يضاعف من أهمية الدراسة.

صدرت الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية عن مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية - فرع القدس سنة ٢٠١١م، وتقع في ٤٠ صفحة لكل لغة من الحجم المتوسط.

قضية النفوذ الإيراني في غزة قضية تثار بشكل دوري بسبب تعمد نظام الملالي التلاعب الإعلامي بها والضغط على حلفائه من حركتي الجهاد وحماس لإطلاق تصريحات إعلامية تمدح وتخدم مصالح إيران، ومن آخر مواسم هذه التصريحات الفلسطينية الداعمة لإيران تصريحات رمضان شلح، أمين عام حركة الجهاد، وموسى أبو مرزوق، القيادي البارز في حماس والمرشح لخلافة خالد مشعل، في منتصف عام ٢٠١٦ برغم المجازر الإيرانية بحق الشعب الفلسطيني والسوري والعراقي واليمني!

جاءت الدراسة لتجيب عن الأسئلة التالية:

لماذا تسعى إيران إلى امتلاك دور ونفوذ حقيقي في قطاع غزة؟

كيف تنظر إيران إلى هذه المنطقة ومدى تأثير دورها فيها على واقعها الإقليمي والدولي؟



إلى أي حد تدخلت إيران في قطاع غزة لتجيير هذا التدخل لخدمة مصالحها الاستراتيجية؟

ما هي طبيعة الدور الإيراني في القطاع على مختلف الأصعدة وأثره الواقعي والعلاقة مع إسرائيل؟

في البداية أنبّه على أن هذه الدراسة، برغم صدورها سنة ٢٠١١، إلا أنها صالحة لهذه اللحظة وذلك حين نستحضر تصريح أبو مرزوق في بداية سنة ٢٠١٦ عن أن الدعم الإيراني متوقف عن حركة حماس منذ عام ٢٠٠٩، وعليه فلا يحاول أحد المراوغة والخداع بزعم وجود دعم إيراني مهم بعد صدور الدراسة، نعم، بقي نوع من الدعم لحركة الجهاد في هذه المرحلة وهو دعم محدود لفصيل محدود، وأيضا تقطع هذا الدعم في نهاية سنة ٢٠١٤ وحدثت أزمة دعم إيران لانشقاق حركة الصابرين عن

(*) كاتب أردني.

حركة الجهاد، حتى تبدلت الأمور مطلع ٢٠١٦ وعاد شلح لزيارة طهران وإطلاق سيل المديح لها عقب تجريم إيران في القمة الإسلامية بإسطنبول ٢٠١٦!

في بيان دوافع النفوذ الإيراني في غزة يقول د. عدنان عامر إن إيران ترى في إسرائيل مصدر تهديد لها، ولكن لا يعني ذلك الانجرار لحرب عمياء معها، كما أن إيران ترى في نفوذها في غزة وسيلة للتغطية على خلافها الطائفي مع الغالبية السنية ودولها، كما أنها تعد إحدى أوراق إيران في معركة برنامجها النووي.

كما أن هذا النفوذ في غزة يمنحها «شيكاً على بياض» و«بوليصة تأمين» لدى الرأي العام الفلسطيني، وتملك إيران من خلال دعم الجماعات الفلسطينية المسلحة «ممتلكات احتياطية» لتكسب بها ود الرأي العام العربي ضد خصومها العرب، فضلا عن تطلعها لتوظيف هذه العلاقة من الجماعات الفلسطينية في استراتيجيتها «الدفاع غير المتماثل» ضد خصومها على غرار ما تفعل المليشيات الشيعية من مختلف دول العالم اليوم في سوريا والعراق.

لكن يختم د. عدنان هذا المحور بالتنبيه على أن الشارع الفلسطيني سريع التغير ضد إيران عندما ترتكب عدوانا على الأمة وأهل فلسطين، وضرب مثالاً لذلك بتراجع شعبيتها في الشارع الفلسطيني عقب مساندتها غزو العراق والهيمنة عليه واضطهاد الفلسطينيين هناك سنة ٢٠٠٣.

أما في محور أوجه الدعم الإيراني فيرصد الباحث ما يلي:

أولاً: تؤكد حركة حماس أن الدعم المالي الرئيسي لها كان وما زال عربياً شعبياً بمساهمات القطاع الخاص في الخليج والمحيط العربي.

وأن الدعم الإيراني بدأ نهاية ٢٠٠٢، وكان الدعم الثابت لحركتي الجهاد والحماس هو مقابل خدمة أجندة إيران السياسية والاستراتيجية، وأن الدعم العسكري جاء في توقيت رغبة طهران بإفشال المسار التفاوضي مع إسرائيل، ولكنها عادت للقبول به عبر تصريحات الرئيسين السابقين رفسنجاني وخاتمي «نقبل بما يقبل به الفلسطينيون» لكن بشرط أن تكون إيران جزءا من لعبة المفاوضات! وبرغم ذلك فإن حماس لم تحصل إلا على ٢٠ مليون دولار سنويا ثم ٥٠ مليونا، وحركة الجهاد على مليونين، في حين أن حزب الله حصل على ٢٠٠ مليون ثم ٣٠٠ عقب حرب ٢٠٠٦.

وعقب تشكيل حكومة حماس في ٢٠٠٦ دعمت إيران حماس بقيمة ٢٥٠ مليونا، وفي ٢٠٠٧ بقيمة ١٤٥ مليونا، ولا توجد أرقام عن سنتي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، ثم توقف الدعم - كما يقول أبو مرزوق- ، وهنا سؤال يُطرح: ماذا حدث في ٢٠٠٩ ليتوقف الدعم الإيراني؟

وينقل الباحث عن أحد القيادات المقربة من حركة حماس أنها قبلت الدعم الإيراني لفك الحصار رغم معرفتها أن العلاقة مع إيران تعزز مكانة الأخيرة لدى الشعوب العربية وتسمح بزيادة التغلغل الإيراني في المنطقة.

ويشير الباحث إلى أنه عقب حرب ٢٠٠٨ على غزة وظهور التخاذل الإيراني والاكتفاء بالتصريحات العنترية دون عمل حقيقي، توترت العلاقة وبدأت تتقلص الإمدادات المالية، وتأكد لحماس أن المطلوب من وراء المال الإيراني «تشكيل أحلاف» وأنه لا يوجد مال بلا ثمن.

أما الدعم العسكري فلا يوجد تصريح إيراني به بل تحاول إيران إنكاره! وينقل الباحث عن مقابلة مع أحد قادة كتائب القسام التابعة لحماس في صحيفة الصاندي تايمز أن إيران دربت أفرادا من القسام، وزودتهم بصواريخ، ومعرفة لتطوير الصناعة العسكرية، وأن تهريب السلاح يتم عبر الصومال والسودان مرورا بمصر وسيناء.

لكن المثير - بحسب الباحث- أن التدريبات الإيرانية لم تعد تفيد القسام كثيراً وأن الحرس الثوري يتعمد ألاّ يقدم كل ما تريده كتائب القسام من تدريب أو معرفة عسكرية، في ابتزاز واضح وسعي للحصول على تبعية كاملة!

ويختم الباحث هذا المحور بالتأكيد على أن إيران تهدف من كل ذلك إلى توظيف الجهاد وحماس في أي صراع تخوضه من خلال فتحهم لمعركة جانبية تخدم إيران، إلا أن الباحث من خلال مقابلات مع قادة عسكريين في غزة أكدوا للباحث رفضهم للرؤية والغاية الإيرانية، وأنهم يتعاملون مع إيران بوصفها دولة مؤثرة على حلفائها الفلسطينيين وليست دولة مسيطرة.

أما بخصوص الدعم السياسي والمعنوي فهو لا يزيد عن خطابات حماسية وشعارات شعبية لاعتبارات سياسية بحتة، ولذلك حين وقعت حرب ٢٠٠٨ لم تقدم إيران سوى تصريحات جوفاء، لأنها لن تخاطر برفع الصراع مع

إسرائيل لخط المواجهة، وخروجًا من مأزقها لجأت لتوجيه الانتقادات والاتهامات للدول العربية! وحاولت الضغط على حماس برفض التهدئة والوساطة العربية لحين توفر ظروف تتوافق مع المصالح الإيرانية!

أما الدعم الإعلامي والدعائي فقد تجسد في منح الجهاد وحماس مساحة واسعة في الإعلام الإيراني وتوابعه، وبالمقابل ابتعد إعلام الجهاد وحماس عن أي قضية تزعج إيران ولو تعلق بعدوان إيراني على الدول العربية، واكتفى إعلام الجهاد خاصة بمدح إيران وتسويقها بين العرب.

تناول المحور الثالث المواقف من النفوذ الإيراني في غزة، حيث يؤكد الباحث أن هناك قناعة راسخة عند الرافضين والمؤيدين لنفوذ إيران في غزة بأن هذا النفوذ هو لخدمة المصالح الإيرانية ولو بأساليب متنوعة صراعية أو تفاوضية.

فالحركات الإسلامية كالجهاد وحماس تؤيد التعاون مع إيران باعتبارها حليفا استراتيجيا في الصراع مع إسرائيل وترى في دعمها مصدرا جديدا لمساندتها في الصراع، وتؤكد هذه القوى أن هذا الدعم هو فقط لاستراتيجية المقاومة ضد إسرائيل ولن تقبل أن تنخرط في مشروع إيران التوسعي ولن تقبل أن تكون علاقتها مع إيران على حساب علاقتها بالأطراف العربية الأخرى.

بينما يعارض هذا النفوذ الإيراني في غزة أطراف كثيرة منها حركة فتح والسلطة الفلسطينية والدول العربية، وعرَض الباحث لتصريحات إسرائيلية متباينة، بعضها يجعل من حماس أداة إيرانية بالكامل، وأخرى تصف حماس بأنها حركة قومية تعلي راية الوطنية الفلسطينية على البعد الإسلامي الذي تتشدق به إيران.

وجاء المحور الرابع لرصد الدور الإيراني في مرحلة ما بعد الحصار المفروض منذ منتصف ٢٠٠٦، حيث تميز هذا الدور بالكثير من الكلام والقليل من الفعل، بخلاف الدور التركي الذي فعل الكثير وقال القليل!

وشكلت سيطرة حماس على غزة منتصف ٢٠٠٧ فرصة وتهديدا للنفوذ الإيراني في آنٍ واحد، فهي تزيد من قوة الردع الإيرانية، ويجعلها طرفا مشاركا مباشرة وعلى تماس مع إسرائيل، لكنها تخل بسياسة إيران الثابتة أن لا تشتبك مع إسرائيل بشكل مباشر وإنما من خلال وكلاء!

تطرق الباحث لقضية التشيع في غزة، فبرغم عدم ترحيب حماس بطائفية النظام الإيراني وسعيه لنشر التشيع في العالم، وأنها تحصر العلاقة معه في البعد السياسي، إلا أن إيران لم تكتف بالدور السياسي في غزة، بل عمدت من خلال حركة الجهاد لنشر التشيع عبر مقالات وبرامج في قنواتها الإعلامية، وعبر إرسال الجرحى إلى طهران، وتأسيس جمعيات خيرية وثقافية شيعية، وغيرها من الخطوات.

وكان تصريح أحمد يوسف مستشار رئيس حكومة حماس «ما العيب أن تكون شيعيا؟ فالشيعة هم عز هذا الزمان»، مثيراً لكثير من التساؤلات عن حقيقة العلاقة بين الطرفين، وهل تسعى إيران لمشاغلة حماس بالبعد السياسي بينما هي تمرر مخططاتها الشيعية عبر الجهاد؟ أم فلت الزمام من حماس؟ برغم أن هناك قيادات في حماس الداخل والخارج تنتقد المشروع الإيراني الشيعي.

وقد رفضت حماس إنشاء إيران لمستشفى في غزة لاشتراطها وجود مشرف عليه من قبلها، ثم عاودت الطلب بأن يكون باسم الخميني، وتجدد الرفض.

وخصص الباحث المحور الخامس لبيان وجوه الاختلاف بين حماس وإيران، لبيان أن علاقة حماس مع إيران لا تصل لمرحلة التبعية والهيمنة.

فحماس لها علاقة بمختلف الدول العربية تتراوح بين الإيجابية والطبيعية، بخلاف إيران التي لها عداوات مع كثير من الدول العربية، وأدانت حماس إعدام الرئيس صدام حسين بينما احتفلت طهران بذلك، كما يتعاطى إعلام حماس بشكل مغاير عن الإعلام الإيراني بخصوص المقاومة العراقية والأفغانية التي تحاربها إيران، وأدانت حماس وكلاء إيران في العراق بشكل غير مباشر على جرائمهم بحق الفلسطينيين، وكذلك سرعة استجابة حماس للسعودية في اتفاق مكة بخلاف الرغبة الإيرانية، ونشأة حماس كانت سنية من داخل جماعة الإخوان المسلمين.

ويختم الباحث بالتأكيد على أن العلاقة ليست علاقة هيمنة ورضوخ، بل محاولة من حماس لإيجاد دعم لبرنامجها الوطني الفلسطيني، وأنها تناور في هذا المجال ولا تهدف لتوسيع دائرة أهدافها، برغم إدراكها أن لإيران مصالح يجب أن تراعى ضمن مجال المناورة.

القدس أغلى من طهران

قالوا: حماس ليست وصيًا على القدس والشعب الفلسطيني لتحشره معها في خندق إيران، وتجيره مقابل دعم حزبي على حساب دماء الملايين التي تسيل أنهارًا في سوريا.

د. حاكم المطيري،
تغريدة على تويتر

أتخافون الفقر؟

قالوا: علاقة حماس بإيران الصفوية خطأ شرعي وسياسي كبير، فكيف تضع يدها بيد من يحارب الإسلام وأهله ويحتل ديارهم «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله».

د. ناصر العمر،
تغريدة على تويتر

سؤال؟

قالوا: هل فقدتم عقولكم؛ دماء الشام والعراق وتدميرهما لا يوازيه سقف تحرير مائة فلسطين فضلاً عن لعاعات الدنيا».

أحمد موفق زيدان
تغريدة على تويتر

كالمستجير بالرمضاء!

قالوا: لا تنخدعوا يا قادة حماس بإغراءات إيران لكم؛ والله لو تتمكن منكم ستجعلكم تترحمون على جرائم الصهاينة وتتمنون أن ينقذكم الحاخامات من المعممين!

أنور مالك،
تغريدة على تويتر

أخطأت يا أبا مرزوق!!

قالوا: الدكتور موسى أبو مرزوق أحد القادة لحركة حماس، وهو رجل مجاهد وفيه خير كثير، لكنه يقع أحيانا في أخطاء، وبالذات في بعض مواقفه وتعبيراته السياسية.

لقد تكلم قبل فترة عن إيران وعداوتها لأهل السنة كلاما صحيحا ورائعا غضبت منه إيران، ويبدو أن إيران ضغطت عليه، وطلبت منه نسخ وشطب كلامه السابق، فتكلم بالأمس كلاما سيئا مدح فيه إيران وأثنى عليها وعلى مواقفها الجيدة في عداوة اليهود!! وفي دعم حماس!!!!!

وقد قابل الواعون من أنصار حماس ومؤيدي الجهاد كلام أبي مرزوق باستغراب واستهجان واستنكار، وحقّ لهم ذلك.

وإننا نرفض كلام أبي مرزوق وننكره ونبرأ إلى الله منه، ونقول لأبي مرزوق: أخطأت في ما قلت! وكلامك مردود!!

لا يجوز مدح إيران وهي تعلن حرب إبادة ضد أهل السنة في العراق وسوريا واليمن وغيرها، وما تقدمه إيران لحماس لا يساوي شيئا، فهو فتات تافه ولأهداف خبيثة.

ونرجو أبا مرزوق وإخوانه من قادة حماس أن يكونوا أكثر ضبطا لتصريحاتهم، حتى لا يفجعوا جماهير محبيهم.

صفحة د. صلاح الخالدي على الفيس بوك

الحقيقة

قالوا: أطلق الخميني شعار «يوم القدس» بينما كان يوقّع نائب وزير الدفاع الإيراني في نظام ولاية الفقيه اتفاقية شراء الأسلحة من إسرائيل بمبلغ ١٣٣ مليون دولار. وهذه الأسلحة موجّهة لمن؟ للشعب العراقي، الشعب العربي المسلم، ليقتل فيها أبناء هذه الأمة.

إن الخميني أراد بإطلاق شعار يوم القدس العالمي أن يضلّل الأمة ويخدعها، شعار القدس يجب أن يوحّد الأمة، لا أن يمزّقها. ولا أن يقتل بهذا الشعار أبناء الأمة الإسلامية ويتآمر عليها.

هذا النظام الذي يوظّف الأموال والمبالغ المالية الكبيرة لتكريس ظاهرة الانقسام وعدم لمّ شمل الشعب الفلسطيني وعدم المصالحة بل لتعميق الانقسام بين أبناء الشعب الفلسطيني، وهذا ما أصاب القضية الفلسطينية في مقتل وحقّق ما عجز الاحتلال عبر العقود الطويلة من تحقيقها.

وقُتل آلاف من الشعب الفلسطيني لأن نظام ولاية الفقيه يريد هذا الانقسام، الأهداف الخبيثة التي يروّج لها بما يسمّى تصدير الثورة بينما هو يصدّر الإرهاب، يريد أن يقتل أبناء الأمة الإسلامية خاصة الدول التي هي دول الطوق حول إسرائيل لإضعاف هذه الدول لتبقى إسرائيل قوية».

قاضي قضاة فلسطين السابق
الشيخ الدكتور تيسير التميمي – وكالات ٢٠١٦/٧/٢

ضحك كالبكاء

قالوا: من المضحكات أن الظواهري يدعو أهل جزيرة العرب واليمن إلى حرب الصفويين بينما هو وعناصر تنظيمه «يتبطحون» في طهران وشمال إيران وتقدم لهم التسهيلات.

حساب شؤون إيرانية على تويتر

دجل إيران الحقوقي!

قالوا: في عام ٢٠١١ طالب العميد نقدي؛ قائد قوات البسيج التابعة للحرس الثوري الإيراني بإسقاط الجنسية عن رموز الحركة الإصلاحية الإيرانية كمير حسين موسوي ومهدي كروبي، وحينها أشرنا إلى أن إسقاط الجنسية عن أي مواطن ينافي ميثاق حقوق الإنسان للأمم المتحدة، ولكنهم بالطبع لم يسمعوا كلامنا، والآن يتحدث الجنرالات أنفسهم، وبالمنطق نفسه عن إسقاط الجنسية عن عيسى قاسم، وأصبحت الحقوق المدنية والقانونية محل اهتمام مسؤولي النظام الإيراني؛ لأن الأمر يتعلق برجل دين شيعي في البحرين.

وأصبح عيسى قاسم شخصية عزيزة لدى قادة الحرس مثل نمر النمر الذي انتهى الأمر بتعطيل فريضة الحج بسبب موقفهم من إعدامه، والشعب الإيراني هو من دفع الأثمان الباهظة.

إذا اعتقد المسؤولون الإيرانيون أن الحقوق المدنية والسياسية يجب أن تراعى للشيخ عيسى قاسم في البحرين ونمر النمر في السعودية، فمن الضروري تطبيق هذه النسخة والتجربة على الداخل الإيراني أولا، وأن يتم إطلاق سراح قادة الحركة الخضراء، ولا يتم قمع العمال والمعلمين في البلاد.

موقع «سحام نيوز» الإيراني، ٢٠١٦/٦/٢٥

سؤال ينتظر الإجابة

قالوا: تعليقا على صورة تجمع للشيعة في البحرين أمام منزل عيسى قاسم كتب: السيد قاسم سليماني: هؤلاء أنصار الشيخ عيسى قاسم الذين تجمعوا أمام منزله في البحرين، هل يمكننا أن نحتج على الاعتقال غير القانوني للشيخ مهدي كروبي والمهندس مير حسين موسوي والسيدة زهراء رهنورد ونتجمع أمام منزلهم؟!».

المخرج الإيراني الشهير محمد نوري زادة، تغريدة على تويتر

احذروا دعاة الضلال الخشن والناعم في الإعلام!

أسامة شحادة - الغد ٢٠١٦/٧/١

روى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنَّه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَنٌ»، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهدُون بغير هَديي، تعرِف منهم وتُنكِر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم؛ دُعَاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابَهُم إليها قذَفُوه فيها»، قلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا؟ قال: هم من جِلدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتَزِل تلك الفِرَق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يُدرِكَك الموت، وأنت على ذلك.

وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة».

وفي مسند الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان».

هذه الأحاديث الثلاثة تكشف لنا حقيقة سيل الشبهات والضلالات التي يقذفها الإعلام اليوم عبر الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي، والتي أصبح كثير من شبهاتها مدار حديث الناس في المجالس، فقلما يخلو مجلس أو اجتماع من السؤال عن حقيقة كثير من المتحدثين على القنوات وعن مدى صحة ما يهرفون به على أسماع الناس، كما أن كثيرا من حوارات الناس تدور حول مدى صحة ما يتناقل من مقاطع ورسائل بينهم.

وبالتأمل في هذه الشبهات والضلالات وجدتُ أنها تنقسم من جهة المتحدث ومن جهة المضمون لنوعين: خشن وناعم، فبعض المتحدثين خشن في عباراته وطريقته، وبعضهم ناعم العبارة والأسلوب، بعضهم خشن الفكر يدعو للتطرف والغلو والعنف، وبعضهم أفكاره ناعمة تحمل راية التسامح والاعتدال لكنها ضلال مبين!

ومن هنا نجد أنفسنا أمام أربعة أنواع من الخطاب الإعلامي الضال والمشوه لحقيقة الإسلام وهي:

١- خطاب خشن العبارة والأسلوب وخشن الفكر بالغلو والتطرف: ومن أمثلته خطاب كثير من الدواعش والغلاة ومنهم أبو فراس السوري الذي اشتهر بسلاطة لسانه وجراته على تكفير الجميع، وكذلك تصريحات قادة الميلشيات الشيعية في العراق.

٢- خطاب ناعم العبارة والأسلوب خشن الفكر بالغلو والتطرف: وهو ما يتجسد في رسائل الأكاديميين والمثقفين في تيار الغلو والتطرف ممن دراسته غير شرعية كأنور العولقي وأمثاله، فهو يستخدم آليات الحداثة وأساليبها في ترويج الغلو والتطرف.

٣- خطاب ناعم الأفكار يسعى لتمييع الدين وتغييره لصالح العلمانية والحداثة الملحدة لكنه خشن العبارة وفج الأسلوب كما نشاهد ذلك على شاشات القنوات المصرية كإبراهيم عيسى.

٤- خطاب ناعم الأفكار يدّعي العقلانية والمعرفة ناعم الأسلوب متقن لمهارات الإلقاء والتواصل، يجتهد في تحطيم الثوابت الإسلامية وتبديلها بحجج عاطفية تعتمد على خداع الجمهور كعدنان إبراهيم، أو كمقالات العلمانيين التي تتعلق بالإسلام وأحكامه وشعائره.

وتنوع خطابات الضلال سبب في انتشار الضلال بين شرائح متنوعة السن والخلفية الثقافية والاجتماعية والتوجهات الفكرية، ومن هنا وجب على العقلاء أن يتفحصوا التحذيرات النبوية من خطابات الضلال والتي تتلخص فيما يلي:

١- دعاة الضلال لا يلتزمون الهدي النبوي كاملاً، بل يخلطون الحق فيه بالباطل ولذلك يخدع البسطاء والسذج فيه، كما قال النبي ﷺ: «قومٌ يَهدُون بغير هَديِي، تعرِف منهم وتُنكِر».

٢- الدور الحقيقي لهؤلاء بشهادة النبي ﷺ أنهم «دُعَاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابَهُم إليها قذَفُوه فيها»، ولو رفعوا شعارات إسلامية وقرآنية، فرفع داعش لكلمة التوحيد ورفع ملالي طهران لراية آل البيت ورفع الحداثيين لراية مقاصد الإسلام والشريعة، فكله خداع وتمويه على باب جهنم الذي يقودون الناس إليها.

٣- بين لنا النبي ﷺ وصف دعاة الضلال هؤلاء فقال: «هم من جِلدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتنا»، وهذا حال منظري داعش كالعدناني، وقادة المليشيات الشيعية الطائفية كحسن نصر الله، والإعلاميين العلمانيين كإسلام البحيري، فهم عرب ويدّعون الإسلام ولكنهم يطعنون فيه بشكل خشن وناعم بحسب الأحوال والظروف.

٤- كما أنهم من صغار السن وصغار العقل والفهم، يدّعون التدين وهم في ذلك كاذبون كما قال المصطفى عليه السلام: «قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»، ومن دقق في أغاليطهم تبين له دقة وصف النبي ﷺ لهم بقوله «سفهاء الأحلام»، فداعش التي ترفع شعار تحكيم الشريعة ترفض التحاكم للشريعة في مئات القضايا مع الفصائل الأخرى، وحزب الله الذي يدّعي المقاومة والممانعة يمعن في قتل الشعب السوري والفلسطيني ويتفرج على الطائرات الإسرائيلية تقصف في دمشق، والتنويريون كعدنان إبراهيم يتشدق بشعارات العقلانية والفهم في رفض السنة النبوية ومذاهب العلماء ثم يتبجح بكرامات خيالية مثل إشعال النور الكهربائي بدون تمديدات كهربائية!

٥- ولكن مع أن هذه صفاتهم إلا أن لهم تأثيرا ضارا ونتائج وبيلة على المجتمع والناس، وذلك لأن عندهم سلاح خطير وهو فن الخطابة والتلاعب بالجماهير، ولذلك حذرنا النبي ﷺ بقوله: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»، وقد جربت الأمة كوارث عدة تسبب بها أصحاب الحناجر العالية والمهارات الخطابية، فمن ينسى ضلالات المذيع المصري أحمد سعيد من إذاعة صوت العرب أيام جمال عبد الناصر حيث ضلل الجماهير بأكاذيبه، ومثله محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام في عهد صدام حسين، الذي ملأ الدنيا بالكذب والزور.

وفي زماننا هذا فإن الإصدارات الإعلامية لتنظيم القاعدة وداعش تعد من أبرز الأمثلة على

خطورة التحريف الذي يقوم به عليم اللسان، وينافسهم في ذلك إعلام محور طهران – دمشق والذي كشف جزء كبير منه الإعلامي اللبناني نديم قطيش في برنامجه (DNA)، ويشاركهم في هذا التضليل كثير من البرامج التي ظهرت في رمضان لتحريف مواقف الإسلام سواء البرامج الدرامية أو الحوارية.

نحن نعيش في زمن حرب الأفكار والعقول، وبعد أن كان هذا الصراع على العقول والقلوب يدور بين الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي، تحول قسم كبير منه من قبل الغرب والشرق لحرب العالم الإسلامي، فأصبحت الهجمة الفكرية على الإسلام في طليعة الأجندات الدولية وتوظف لها كل الوسائل والأدوات وينخرط فيها مجاميع كثيرة، بعضها ظاهر وبعضها مستتر.

والعاقل هو من يدرك أن عقله ودينه مستهدفان من خلال ما يقصف به يوميا عبر شاشات الفضائيات ووسائل التواصل الالكتروني وتغيير المناهج التعليمية المتواصل بحسب المعايير العلمانية الدولية وليس بحسب المعايير العلمية الموضوعية.

والعاقل هو من يبادر لبناء الوعي الصحيح لفكره وعقله بناء على العلم الصحيح في الدين والدنيا، ويتجنب ضلالات دعاة جهنم من كل التوجهات، وذلك بالتعلم بمنهجية سليمة وواضحة، والتواصل مع الجهات الموثوقة في شؤون الدين والدنيا.

وكما أننا نبحث ونوازن وندقق عند أي اختيار لشؤوننا الخاصة من تعليم أو علاج أو تجارة، فينبغي أن ندقق في اختيار مصادر أفكارنا وأخبارنا وثقافتنا، وقبل ذلك كله مصدر ومرجع تديننا والتزامنا بأحكام الشرع، فلا يجوز أن نعبد الله عز وجل بالجهل والقبول من أي جهة دون تمحيص، ولا يجوز أيضاً أن ننحاز للطرف المتشدد دوماً، بل الموقف الصحيح هو البحث عن جهة موثوقة في تلقي الدين والإسلام ومعرفة مستندهم ودليلهم في ذلك إن كانت تتوفر القدرة العقلية والعلمية لفهم أساسيات ذلك، وبهذا ننجو من خطر عليمي اللسان، الدعاة على أبواب جهنم، وما أكثرهم في زمننا ومن مختلف الأنواع الخشنة والناعمة!

تمرد الأقليات في إيران: هل تتجرع طهران "كأس السم" الذي تسقيه لدول المنطقة؟

موقع الخليج الجديد

تنتج إيران المزيد من النفط بشكل أسرع مما توقعه أي شخص، حيث فاق إنتاج إيران أكثر من ٣.٨ مليون برميل يومياً بحسب تصريح وزير النفط «بيجن نمدار زنغنه»، لتصل بمستويات الإنتاج بالقرب مما كانت عليه قبل العقوبات التي فرضت عليها في ٢٠١٢. أضرت تلك القفزة في مستويات الإنتاج بباقي منتجي النفط حول العالم والذين يحاولون التغلب على زيادة تخمة معروض النفط، جنباً إلى جنب مع خصوم إيران السياسيين في منطقة الخليج الذين يقلقون حول النشاطات السرية التي يمكن أن تتبئ بها تلك العائدات الإضافية من إنتاج النفط. وهي محقة في ذلك؛ فقد قامت إيران بالاستثمار الكثيف في سوريا والعراق وتحاول التوسع لتصل إلى مناطق حساسة في الخليج، بما في ذلك البحرين واليمن والمنطقة الشرقية بالسعودية. لكن في الوقت الذي تحاول إيران فيه تعزيز شؤونها السرية خارج حدودها، فإنها ستجبر أيضاً على الحذر بشأن نقاط الضعف الأمنية داخلياً.

يبدو أن الهجمات داخل إيران لا يتم الإعلان عنها بشكل كامل، لكن البلاد قد نالت نصيبها العادل من الأنشطة العنيفة هذا الأسبوع. فقد اشتبك الأكراد الإيرانيون مع قوات من الحرس الثوري الإيراني في الشمال الغربي ذي الكثافة الكردية في مدينة شنو يوم الأربعاء. تبعت الحادثة مواجهة يوم الإثنين في منطقة سردشت بين قوات الحرس الثوري الإيراني والمتمردين المنتمين لحزب الحياة الحرة الكردستاني، وهي مجموعة كردية مرتبطة بحزب العمال الكردستاني الواقع في الجانب التركي. وفي مكان آخر يوم الإثنين، اشتبكت القوات الإيرانية

مع المجموعة السنية المقاتلة، جيش العدل، في الجنوب الشرقي في محافظة سيستان وبلوشستان. وفي يوم الثلاثاء، زعمت مجموعة انفصالية في محافظة خوزستان الواقعة في الجنوب الغربي، والغنية بالنفط، وتدعى حركة النضال العربي لتحرير الأهواز، «شل تدفق النفط من الأهواز إلى طهران» بهجوم على خط أنابيب.

من المتمردين الأكراد في الشمال الغربي إلى المعارضين السنة في الجنوب الشرقي إلى المعارضين العرب في الجنوب الغربي، تتلقى إيران الضربة تلو الأخرى من الأقليات بطول أراضيها. الخبر الجيد لإيران أن قواتها الأمنية قادرة على السيطرة على تلك الضربات، على الأقل حتى الآن. والسؤال هو إذا ما كانت إيران ستكون قادرة على الحفاظ على تلك الأفضلية على المدى الطويل.

استطاعت إيران ، في سيستان وبلوشستان، في السنوات الأخيرة، إضعاف المعارضة الإسلامية وحاولت منع المجاهدين من المرور عبر حدودها سهلة الإختراق مع باكستان. ومنذ القبض على «عبد الملك ريجي»، مؤسس جند الله، وإعدامه في ٢٠١٠ وهو الحدث الذي سبق تأسيس جيش العدل بأشهر قليلة، تم رد عدد من الهجمات في المنطقة حيث كان أعضاء الحركة يعيدون تنظيم أنفسهم من جديد. ويجب أن تقوم إيران، إذا أرادت احتواء المتمردين في بلوشستان بشكل فعال، بالتعاون مع الجانب الباكستاني الذي لديه هو الآخر مشاكل البلوش الانفصاليين. وعلى الرغم من التهديد المشترك، إلا أن التعاون بين إيران وباكستان ليس سهلاً، فإيران لازالت مرتابة من أمر علاقة باكستان بحركة طالبان كما أنها كانت قد اتهمت إسلام آباد فيما سبق بالتعاون مع أعداء إيران لتسهيل هجمات البلوش في الداخل الإيراني، كما تحاول السعودية إدخال باكستان في تحالف سني أكثر تشدداً تجاه إيران، ولا تزال طهران قلقة من أي تعاون سعودي باكستاني والذي يمكن أن يؤدي في النهاية لإفادة جيش العدل.

يمكن أن يثبت تاميا محدوداً في هجمات المتمردين الأكراد صعوبة أكبر في الاحتواء، حيث يحاول الأكراد السوريون استغلال الحرب ضد «الدولة الإسلامية» من أجل خلق دويلة كردية في سوريا رغم الرفض التركي. لكن حزب العمال الكردستاني في تركيا دخل في حرب مع أنقرة من جديد، والمنافسة الإيرانية التركية تمزق كردستان العراق فيما يبدو. ومع الكثير من الأنشطة القتالية بطول المنطقة الكردية، فإنها فقط مسألة وقت قبل أن يبدأ المتمردون الأكراد الإيرانيون بإحداث جلبة. وكما يمكن لإيران استخدام علاقاتها مع المجموعات الكردية في العراق وسوريا ضد تركيا، يمكن لتركيا أيضاً استخدام الأكراد ضد إيران.

وتعد محافظة خوزستان التي تقع على الحدود مع العراق هي نقطة حساسة أخرى، فالمنطقة تمتلك من ٨٠ إلى ٩٠٪ من النفط الإيراني، ويتوقع أن تحصل على استثمارات كبيرة لتحسين الطاقة، ولكن هناك أيضاً الأقلية العربية المعروفة بالأهواز التي تقوم بهجمات قليلة الإمكانيات ومتقطعة ضد قوات الأمن الإيرانية والبنية التحتية للطاقة لتقويض الحكومة الإيرانية. في الربيع الماضي، انطلقت تظاهرات بخوزستان تبعت حرق بائع لنفسه احتجاجاً على مصادرة موقف الفاكهة خاصته في استدعاء للحادث المشابه الذي أدى لتظاهرات تونس التي بدأت الربيع العربي في ٢٠١١. وبدأ ظهور حرق النفس والانتحار كشكل للاحتجاج على الظروف الاقتصادية القاسية وهو يتزايد ببطء، في الوقت الذي تمارس فيه حركة النضال العربي من أجل تحرير الأهواز ضغوطاً على دول مجلس التعاون الخليجي لإعلان الأهواز دولة عربية. ومن وجهة نظر النشطاء الأهواز، فإن منطقة خوزستان كانت فيما مضى البوابة الشرقية للفرس لغزو العالم العربي عبر التاريخ، ولذا، فإن أرادت دول الخليج تأمين مستقبلها ضد التهديد الإيراني، يتعين عليها وضع موارد أكثر لدعم الانفصاليين الأهواز. في أواخر ديسمبر/كانون

الأول من العام ٢٠١٥ وأوائل شهر يناير/كانون الثاني هذا العام، طرح مشرعون بالبحرين والكويت مقترحات للاعتراف بالأهواز كدولة عربية محتلة، لكن هذه الطروحات لم ينتج عنها أكثر من الدعم الخطابي للأهواز العرب.

ويبقى أن نرى إذا ما كانت الدول الخليجية ستبدأ بالدعم العملي بجانب الخطابي، وإذا ما كانت تركيا تستطيع النفخ في النار في كردستان إيران، وإذا ما كانت باكستان ستستطيع الدخول في الحلف الخليجي لتسهيل عودة البلوش للقتال. ومع أنّ إيران تظل في موقف جيد بالنسبة للتعامل مع تلك الأنشطة الانفصالية المنتشرة بأراضيها، إلا أنّ المنافسة في المنطقة تتزايد، ولدى إيران العديد من الخصوم الذين يريدون إذاقتها من نفس كأسها.

"حزب الله" والمصارف... هذه المرة لا مفرا

نديم قطيش – الشرق الأوسط ٢٠١٦/٦/١٧

الصوت المدوي الذي سمعه اللبنانيون مساء الأحد الماضي، لم يكن صوت انفجار العبوة التي استهدفت بنك «لبنان والمهجر». إنه صوت انكسار شيء عميق في مرتكزات الاستقرار في لبنان الذي يتجه نحو كارثة بكل المقاييس.

التفجير جاء في سياق تفاقم الاشتباك بين «حزب الله» وبين حاكم مصرف لبنان المركزي والبنوك، التي يتهمها الحزب بالمغالاة في تطبيق قانون أميركي أقره الكونغرس لفرض عقوبات مصرفية عليه.

لست ممن يترددون في الاعتقاد بأن «حزب الله» خلف التفجير؛ فالعنف واحدة من الأدوات الناجحة التي استعملها في كل مرة واجه مأزقًا خطيرًا شبيهًا بالمأزق الحالي. حين صدر القرار الدولي (١٥٥٩) في ٢ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٤ والذي طالب بين بنوده الأربعة بحل «جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ونزع سلاحها»، نجح «حزب الله» عبر مزيج من العنف المادي والمعنوي في تفريغ الجزء الذي يعنيه من القرار. بعد شهر جرت محاولة اغتيال الوزير في حكومة رفيق الحريري آنذاك مروان حمادة ضمن منحى تصاعدي وصل إلى اغتيال الحريري نفسه ومن بعده!

خرجت سوريا ونجح «حزب الله» في جر الحكومة والقوى السياسية إلى ما يسمى «الحوار الوطني حول الاستراتيجية الدفاعية» لسحب بند نزع السلاح عن الطاولة.

وحين قررت الحكومة اللبنانية برئاسة فؤاد السنيورة في ٥ مايو (أيار) ٢٠٠٨ مصادرة شبكة الاتصالات التابعة لسلاح الإشارة في ميليشيا «حزب الله»، وإقالة قائد جهاز أمن مطار رفيق الحريري الدولي، أقدم الحزب على ما بات يعرف بعملية ٧ أيار. وكما في حالة العنف السابقة نجح «حزب الله» عبر العنف العلني هذه المرة في إخضاع الحكومة التي سحبت قراريها وعطلت مفاعيلهما.

النموذج الثالث، بعد القرار (١٥٥٩) وقراري حكومة السنيورة هو لجوء «حزب الله» إلى العنف المادي والمعنوي لعرقلة عمل المحكمة الخاصة بلبنان، إما من خلال حماية المتهمين أو عرقلة الوصول إلى الأدلة، أو من خلال قتل محققين وشهود، أو رفع مستوى الاشتباك مع الحكومة على خلفية تمويل المحكمة والتزام لبنان بالوفاء بالمستحقات الواجبة عليه.

في النماذج الثلاثة نجح «حزب الله» في استخدام العنف لتعديل الوقائع لصالحه، ولا يوجد سبب للاعتقاد بأن صاحب هذه السيرة سيتردد في استخدام العنف في إدارة المأزق الأخير مع البنوك.

غير أن ما يعلمه أو لا يعلمه «حزب الله» حول الأزمة الراهنة، أن المصارف، التي خدمته كثيرًا، لن تكون قادرة على الاستمرار في خدمته حتى لو رغبت. ولن يفيده إخضاعها حتى لو خضعت. النموذج الراهن ليس أمرًا بوسع اللبنانيين (الحكومة والمصارف) الالتفاف عليه عبر طاولة حوار، أو التراجع

عـن قـرارات، أو التـذاكي في تفـسير قـانوني مـا، أو التحايل على تنفيذ الالتزامات!

للمـرة الأولى يبـدو «حـزب الله» عـاجزًا أمـام هـذه الحلقــة مــن حلقــات المواجهــة. يتـصرف كمافيـا وكقـوة احـتلال غاشـمة للبنـان، مـن دون أن يمتلـك قـدرة المافيا أو قوة الاحتلال على تغيير الواقع لصالحها.

يـستطيع «حــزب الله» ربمـا أن يقفـل كـل المـصارف في لبنـان، لكنـه لـن يـستطيع فـتح حـساب واحـد في أي مكـان في العـالم. ومـا سيكتـشفه الحـزب أن الـذعر الأهـم هـو ذعـر البنـوك المراسـلة أو الحـسابات الوكيلـة للبنـوك اللبنانيـة في أميركـا، الـتي سـترى خـلال أشـهر قليلـة أن حجـم المخـاطرة في التعامـل مـع المـصارف اللبنانيـة أكـبر بكـثير مـن العائـدات. عنـدها هـل سـيفجر «حــزب الله» عبــوات أمــام المــصارف في نيويورك ولوس أنجليس؟

نحـن في الحقيقـة أمـام عجـزين؛ عجـز «حـزب الله» وعجـز مـن قـد يرغـب في مـساعدته، أو مـن يـصر «حزب الله» أنهم مسؤولون عن مساعدته.

إصـرار «حـزب الله» مـبني علـى قـراءة خاطئـة «لعبقريـة» معالجـة أزمـة البنـك اللبنـاني الكنـدي الـذي اتهـم بتبيـيض أمـوال لـصالح «حـزب الله» ناتجـة مـن نــشاطات جرميــة كتجــارة المخــدرات والــسيارات المـسروقة. جـرت تـصفية المـصرف صـيف ٢٠١٣، ولم يتطــور الأمــر إلى ملاحقــة «حــزب الله». لم تكــن التسوية يومهـا ناتجـة مـن عبقرية لبنانيـة، مـدعو ريـاض سـلامة لتكرارهـا اليـوم، بـل عـن حـسابات أميركيـة معقـدة لم تكـن معلومـة يومهـا وباتـت معلومـة اليـوم. تزامنـت التحقيقـات في أنـشطة البنـك اللبنـاني الكنـدي (البادئـة قبـل وضـع الخزانـة الأميركيـة المـصرف علـى اللائحـة الـسوداء في ١٥ ديـسمبر/ كـانون الأول ٢٠١١) مـع المفاوضـات الإيرانيـة الأميركيـة الـسرية يومهـا، مـن خـلال مـا يـسمى «القنـاة العمانيـة». كانـت حمايـة هـذه القنـاة الجديـة الـتي أوصلـت إلى الاتفـاق النـووي لاحقًـا أولويـة حكمـت كـل مـا عـداها وفـق توصـيات وأوامـر صـارمة مـن البيـت الأبـيض، وهـو مـا تحـررت منـه الإدارة الأميركيـة إلى حـد كـبير اليـوم بعـد إنجـاز الاتفـاق، ولــن تكــون ملزمــة بمراعــاة لبنــان كمــا فعلــت في الـسابق. مـا فهمـه اللبنـانيون رعايـة دوليـة للبنـان وعبقريـة خاصـة لحاكمـه هـو ظـرف انتهـى بتوقيـع الاتفـاق النووي.

«حــزب الله» إذن بــإزاء عجــزين؛ عجــز ريــاض ســلامة عــن اجــتراح تــسوية كتــسوية البنــك اللبنــاني الكنـدي، وعجـز «حـزب الله» عـن تحـصيل نتـائج عـبر العنف.

اعتـاد «حـزب الله» علـى أن يحكـم شـيعة لبنـان وفـق معادلـة «فـدا حـذاء الـسيد». الودائـع الـشيعية في مــصارف لبنــان تبلــغ نحــو ٥٢ مليــار دولار، ومــن غــير المعلــوم أن مجموعــة بــشرية تملــك هــذا الحجــم مــن الأمــوال قالــت قــبلاً «فــدا حــذاء» أي أحـد. وإن قالـت، ودعوا لبنان.

مراجعات ليبرالية جادة تستحق التأمل والاحترام

جمال سلطان – المصريون ٢٠١٦/٦/٢٥

مــا كتبــه الــصديق عمــرو حمــزاوي أمــس في مقالــه بالـشروق، هـو مراجعـة ليبراليـة جـادة وشـجاعة، لمـيراث العلمانيـة في مـصر، تحـاول أن تفـسر بنبـل وتجـرد وعقلانيـة محـض لمـاذا كانـت «العلمانيـة» دائمـا حليفـا للاســتبداد وقمــع الــشعوب وتمكــين المكــون العـسكري والأمـني مـن مؤسـسات الدولـة، والحقيقـة أن حمـزاوي هـو مـن «النـدرة» الليبراليـة الباقيـة في مـصر والعــالم العربــي الــتي تملــك شــجاعة النقــد الــذاتي وتخلــص بالفعــل لمبــادئ الليبراليــة بغــض النظــر عــن المـصالح الآنيـة أو موقعـه مـن الأحـداث، ولـذلك أعتقـد أن مــا كتبــه الــدكتور عمــرو جــدير بالتأمــل وإثــارة الحـوار الجـاد مـن أجـل مـستقبل أفـضل لمـصر وشـعبها ولنخبتها بالأساس.

يقول في مقاله الذي نشرته الزميلة الشروق تحت عنوان «عن ما سبق ٢٠١٣.. في شرح النزوع السلطوي للنخب العلمانية في مصر»: (لم تكن الدوافع الوحيدة لتحالف النخب العلمانية (ليبرالية ويسارية) مع المؤسسة العسكرية والأجهزة الأمنية للخروج على الإجراءات الديمقراطية فى صيف ٢٠١٣ هي فشل إدارة الرئيس السابق محمد مرسي في إخراج البلاد من أزماتها وعصفها بسيادة القانون والإطار الدستوري القائم «الإعلان الدستوري الاستثنائي فى نوفمبر ٢٠١٢ »، أو ما طرح آنذاك كفعل ضرورة لحماية مصر من خطر استبداد ديني محقق)، وهو هنا يؤكد على أسباب ومشروعية الغضب الواسع ضد الرئيس الأسبق محمد مرسي ومخاوف المصريين تجاه تجربته القصيرة العاصفة، ولكنه عاد ليؤكد أن الموقف كان أعمق من تلك المخاوف وأسبق من أخطاء مرسي، موضحا قوله: (فالموقف المضاد للديمقراطية الذى تبنته النخب العلمانية فى ذلك الصيف، ثم تأييد أغلبية عناصرها لعودة السلطوية وصمتها على انتهاكات مفجعة لحقوق الإنسان، مثّل – ومازال – ترجمة مباشرة لميراث تاريخى طويل حدد منذ القرن التاسع عشر جوهر العلاقة بينها وبين نظم الحكم المتعاقبة كما بينها وبين فعاليات المجتمع وعموم المواطنات والمواطنين).

وفي رحلة بحثه في عمق تاريخنا الحديث عن أسباب انحياز النخب العلمانية المصرية للاستبداد والنظم السلطوية يقول ببصيرة تاريخية واعية: (لم تر النخب العلمانية فى الدولة الوطنية سوى قوة التنوير والتحديث والتقدم القادرة على تجاوز الجهل والفقر والتخلف وتجاهلت حقائق القهر والقمع وإهدار الحريات واحتكار الثروة التى وصمتها منذ نشأتها، ولم تصنف حكامها إلا كحماة للفكرة العلمانية ولفصل الدين عن الدولة حتى حين وظفت الرموز والمقولات الدينية لإضفاء شرعية قبول شعبى زائفة على الحكام، ولم تمتعض لا من اختزال المؤسسات والأجهزة الفاعلة للدولة إلى المؤسسة العسكرية والأجهزة الأمنية ولا من إلغاء حكم ما بعد ١٩٥٢ للتعددية السياسية والحزبية التى تواصلت لبضعة عقود بعد ثورة ١٩١٩ ومن اختلال العلاقات العسكرية ـ المدنية على نحو أسس لسلطوية صريحة، ولم تقاوم امتداد سطوة المكون العسكرى ـــ الأمنى إلى مجمل الفضاء العام والانتهاك الممنهج للحريات الفكرية والأكاديمية ولحرية الإبداع)..

هذا اعتراف شجاع بجذور الخلل في وعي النخب العلمانية والذي ورطها في أن تكون خدما دائما للسلطوية والاستبداد والقمع بذريعة أن الشعب جاهل والدولة تعمل على «تنويره» في الوقت الذي حملت النخبة مشاعر عدائية وتوجسا تجاه الناس/الشعب، وهو ما جلاه عمرو حمزاوي ببلاغة ملهمة في قوله: (فى مقابل ارتباطها العضوى بنظام الحكم واستقوائها بالسلطة القائمة، استحضرت النخب العلمانية دوما خوفا وتوجسا مزمنين من المجتمع وعموم الناس. منذ تبلورت المقولات الكبرى للعلمانيين المصريين، والمجتمع يصنف ككيان لا عقلانى ومساحة شاسعة تعمل بها «الظلامية الدينية» و«الأنساق الرجعية» مفاعيلها الهدامة، وبالتبعية، باتت المهمة الرئيسية للدولة وحكامها هى إخراج المجتمع من حالته الرثة وتجاوز لا عقلانيته وظلاميته بمساعدة العلمانيين وعبر نظم التعليم والتنشئة الحديثة. وإلى يومنا هذا، لم يتغلب العلمانيون على خوفهم من المجتمع على الرغم من عقلانية وتقدمية المجتمع وفعالياته مقارنة بالدولة وحكامها فى محطات مفصلية كثيرة فى تاريخ مصر الحديث، لم يزل خوف العلمانيين من المجتمع هو المفسر الأساسي لترويجهم لمقولات غير ديمقراطية بين ٢٠١١ و٢٠١٣ ـ من المطالبة بالتمييز بين الوزن النسبى لأصوات المتعلمين وغير المتعلمين فى الاستفتاءات والاستحقاقات الانتخابية إلى تمرير وثائق مبادئ فوق دستورية لإقرار وضعية الدولة فوق الدولة للمؤسسة العسكرية وتمكينها من التدخل المستمر فى شئون الحكم والسلطة. إلى يومنا هذا، لم يزل خوف العلمانيين من عموم الناس هو محرك قوى لإطلاقهم

الأحكـــام الاســـتعلائية علـــى تفـــضيلات الأغلبيـــة السياسية والانتخابية ـ أساطير الحصول على الأصوات الانتخابية بالسكر والزيت ــ ولاستعدادهم التحالف مع الاستبداد والسلطوية والانقلاب على الديمقراطية نظير إسكات المواطن وتهجيره من الفضاء العام، نظير إخضاع واستتباع المجتمع اللاعقلانى).

ثم يخلص عمرو حمزاوي من تحريره لهذا الخلل الهيكلي العميق في وعي النخبة ومشاعرها السلبية تجاه المجتمع إلى إعادة التأكيد على السبب الجوهري ، قبل مرسي وبعد مرسي، لانحياز العلمانية للنظم المستبدة على حساب الشعب وحريته وكرامته، يقول: (لذلك ليس بمستغرب على الإطلاق أن تقف النخب العلمانية منذ القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا متبنية لمقولة الدولة الوطنية المسيطرة على المجتمع والمهيمنة على الفضاء العام والفارضة للرأى الواحد وللصوت الواحد على الناس، دون أن يربط العلمانيون بين مفهوم قوة الدولة ومفاهيم العدل والحق والحرية والمساواة ، .. لذلك أيضا ليس بمستغرب البتة أن تروج النخب العلمانية لمفاهيم ذات جوهر استبدادى صريح كمفاهيم الضرورة الوطنية التى تلزم بالاصطفاف خلف الحكام، وحالة الاستثناء التى تمنح الحكام رخصة شاملة للعصف بسيادة القانون وبإخضاع المجتمع والمواطن، وأولوية الدفاع عن الأمن والاستقرار وإنجاز الحقوق الاقتصادية والاجتماعية على حديث الديمقراطية).

هذه مراجعة ليبرالية جادة وشجاعة ونبيلة ، وتستحق أن يتعامل معها الجميع، بمن فيهم الإسلاميون، بجدية ونبل مكافئ، وسيكون من السخف محاولة استخدامها لمجرد تسجيل نقاط في صراع سياسي مرحلي، أو كأنها «توبة» سياسية ، هذا لن يفيد الوطن ولن يساعد على صياغة مستقبل أفضل لمصر وشعبها وتياراتها السياسية والاجتماعية كافة، نحن في حاجة إلى مثل هذه «الشجاعة» والنبل من كل تيارات المجتمع، وإدارة حوار حقيقي شفاف ونبيل ومخلص للوطن والناس، أكثر من إخلاصه لحزب أو جماعة أو تيار أو فكرة، نحن بحاجة إلى «تأسيس» فكري جديد للمستقبل، فقد فشلنا جميعا، كل التيارات السياسية والفكرية في تاريخ مصر الحديث فشلت، ومنحت فرصة أكثر من مائة عام، وفشلت، فلا داعي لكي يتمطع تيار من بينهم ـ حتى لو كان التيار الإسلامي ـ ليزعم أنه الذي امتلك البصيرة والبراءة والحق والحقيقة ، الجميع فشلوا ، وعلينا ـ جميعا ـ الاعتراف بذلك.

وإذا كان باحث مميز مثل عمرو حمزاوي قد فتح الباب للمراجعات العميقة والتاريخية للعلمانية، وخاصة التيار الليبرالي الذي ينتمي إليه، فأعتقد أن الإسلاميين ـ واليسار أيضا ـ بحاجة ماسة لمراجعات تاريخية مماثلة، تضع الإصبع على موطن الخطأ وأصل الخلل، وتفسر لماذا فشلت جهود أجيال في الإسهام الجاد والمثمر في تطوير الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد، رغم التضحيات الكبيرة التي قدمتها أجيال من الإسلاميين ومن اليساريين، وبإخلاص كامل يتوجب التوقف طويلا أمام تجربة الإسلاميين في ثورة يناير، ولماذا أضاعوا الفرصة التاريخية على أنفسهم وعلى الوطن كله، هذا أجدى من الانشغال بأخطاء الآخرين والبحث عن شماعات للفشل ومحاولات الهروب من المسئولية عن فشل التجربة، لم يعد ذلك «الهروب» يفيد، والأهم أنه سيطيل طريق الضياع والشتات والمهاترات بين الجميع بلا نهاية، ويحرم الأجيال المقبلة من القدرة على الإنقاذ وتأسيس مستقبل أرشد وأفضل، لهم ولوطنهم.

عن السياسات الاستعمارية الإيرانية

علي باكير – العرب القطرية ٢٠١٦/٦/١٤

تعبّر السياسات الإيرانية اليوم تجاه المنطقة العربية عن أسوأ أوجه الطموح الإيراني الاستعماري، وهو طموح يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الفرس منذ نشأة الإمبراطورية الفارسية وحتى اليوم. يستطيع المتابع لتصريحات المسؤولين الإيرانيين أن يلمس فخراً بما «ينجزوه» من دمار على وقع سيطرتهم على عواصم ودول المنطقة من بغداد إلى دمشق وبيروت وصنعاء، والتأثير الذي يمتلكونه في بلدان أخرى في الخليج العربي والمحيط الإقليمي.

بعض السذّج لا يفكّرون بهذه الطريقة طبعا، وينظرون إلى المصطلحات المستخدمة في وصف السلوك الإيراني اليوم في المنطقة العربية من قبيل «الفرس» أو «الصفويون الجدد» على أنها تعبير مريض، لكنّ الأكيد أن الإيرانيين لا ينظرون إليها بهذا الشكل، فهم فخورون جداً بهذين الانتماءين (القومي والمذهبي) بما في ذلك الملالي أنفسهم، على أنّ المشترك بينهما دوما هو صفة الاستعمار والنزعة إلى الهيمنة والتسلّط.

لطالما كانت هناك مقاومة لهذه النزعة الإيرانيّة عند شعوب ودول المنطقة، لكنّ استخدام النظام الإيراني لورقة «الإسلام» و «المقاومة» منذ العام ١٩٧٩ كان بمثابة دس السم في العسل، إذ فقدت شعوب المنطقة حينها قدرتها على تمييز هذا المرض الخبيث وتعطّلت دفاعاتها الحيويّة، وفي هذه اللحظة بالتحديد كان التغلغل الإيراني الطائفي والسياسي والمالي والعسكري قد استشرى رغم العقوبات الدوليّة، ثمّ ما لبث أن بلغ أوجه وتحوّل إلى استعمار علني بمباركة أميركية وغربية مع التوصّل إلى الاتفاق النووي، ولم تستفق المنطقة وشعوبها مؤخراً إلا على تفشّي هذا السرطان.

لم تحل إيران في مكان إلا وجلبت معها الدمار والخراب، ومن معالم أسوأ ما في سياساتها الاستعمارية اليوم التغيير الديموغرافي والولاء الطائفي والعبث بالمكونات الاجتماعية والسياسية والأمنية لبعض دول المنطقة وتدمير المراكز الحضرية التي شكّلت على الدوام منذ ظهور الإسلام مصدر الحضارة العربية والإسلامية في دمشق وبغداد. هذه السياسات الاستعمارية الإيرانية تلقى اليوم أكثر من أي وقت مضى اعترافا أميركيا وغربيا بنفوذها وتأثيرها ودعماً لطموحها وأهدافها.

مع الانسحاب الأميركي التدريجي من المنطقة، وبدلا من أن تقوم إدارة أوباما بتشديد العقوبات على إيران وتوحيد الجهود الإقليمية لاحتوائها وردعها ودعم حلفائها لملء الفراغ الذي ستتركه، قامت الإدارة بالعكس تماما، إذ أعطت الاستعمار الإيراني شرعيّة سياسيّة ونقلته إلى مستوى جديد مع إزالة العقوبات وتشريع البرنامج النووي الإيراني والتعاون المباشر وغير المباشر مع الحرس الثوري وميليشياته الطائفية في عدد من البلدان العربية.

لطالما قيل خلال العقدين الماضيين إن هناك تضخيما لقدرات إيران، لكنّ هؤلاء كانوا مخطئين جداً لناحية النتائج التي آلت إليها الأمور اليوم، ومكمن الخطأ أنّهم اعتمدوا في تصوراتهم عن إيران على قياس قوّتها من خلال العناصر التقليدية. من يفكّر اليوم في مواجهة إيران من نفس المنظور التقليدي، عليه ألا يتوقع أن يصل إلى نتيجة حاسمة لصد تمدّدها. هناك حاجة إلى أن نغيّر جذريا نظرتنا إلى إيران كشعوب وحكومات، وأن نبدأ بالعمل من منطلق أنّها دولة مستعمرة أوّلاً وأن نغيّر طرق وأساليب مواجهتنا معها. استخدام الأساليب التقليدية في مواجهة هذا المد الاستعماري الأسود الجديد غير ذي جدوى على المدى الاستراتيجي وآثارها الإيجابية تقتصر على الجانب التكتيكي فقط.

أمن روسيا: الدلالات الجيوسياسية للصراع داخل الكنيسة الأرثوذكسية

ترجمة وتحرير فتحي التريكي - الخليج الجديد ٢٠١٦/٦/١٩

في وقت سابق من هذا الأسبوع، قالت بطريركية موسكو، التي تمثل قيادة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، إنها لن تشارك في الاجتماع القادم لمجلس عموم الأرثوذكسية.

جاء ذلك بعد أن قررت الكنائس الأرثوذكسية في بلغاريا، سوريا، وجورجيا وصربيا (حتى الآن) عدم الحضور.

وأقر البرلمان الأوكراني قرارا يطلب من رئيس الأساقفة الحالي والبطريرك المسكوني إعلان استقلال الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية عن الكنيسة الروسية.

ويأتي انسحاب الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من هذا الاجتماع محملا بالدلالات بخصوص علاقة روسيا مع دول المنطقة العازلة التاريخية.

ويتعلق الأمر أيضا بالعلاقة بين الدين والدولة في عالم لم يعد فيه الإيمان أو الإمبراطوريات تمثل أركانا أساسيا وإنما حلت محلهما الدولة القومية.

اليوم، هناك تحالف بين الحكومة الروسية والكنيسة الأرثوذكسية الروسية. ويواصل الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» توظيف الكنيسة في للمساعدة في توحيد روسيا ولممارسة النفوذ الروسي في البلدان المسيحية الأرثوذكسية الأخرى.

هذه العلاقة الوثيقة تمثل عودة للتحالف التاريخي. وبشكل عام مثل القرن العشرين فترة وخيمة في العلاقات بين روسيا وكنيستها الأرثوذكسية.

ارتبطت الكنيسة بشكل كبير بحكم القياصرة الروس، حيث تمتعت بالعديد من الفوائد والامتيازات نتيجة لذلك.

خلال الثورة الروسية، دعمت الكنيسة وأنصارها الجيش الأبيض ضد البلاشفة الشيوعيين. وفعلوا ذلك بدافع الخوف من نظرة الشيوعيين إلى الدين.

كتب «لينين» في عام ١٩٠٥ يقول: «الدين هو نوع من الجن الروحي يقوم عباد المال بدفن إنسانيتهم فيه وتجاهل أي مطالب للحياة الكريمة».

بعد غزو «هتلر» للاتحاد السوفيتي، أزال «ستالين» العديد من القيود المفروضة على الكنيسة من أجل حشد المتدينين الروس في الحرب ضد ألمانيا النازية.

ولكن في عام ١٩٥٩، شن «نيكيتا خروشوف» الحملة ضد الكنيسة مرة أخرى، وظلت واقعة تحت تضييق كبير حتى انهيار الاتحاد السوفييتي.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بدأت الكنيسة تزداد أهمية ويرجع ذلك جزئيا إلى سعي الناس للبحث عن المعنى في أعقاب انهيار الأيدولوجية الحاكمة، كما يرجع في الجزء الآخر منه إلى رغبة حكام البلد في استخدام الكنيسة كوسيلة نفعية لإبقاء البلد موحدا وقويا.

واستخدم «بوتين» تحالفه مع البطريرك «كيريل» في موسكو لبسط النفوذ الروسي إلى ما وراء روسيا.

وتتكون الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من أجزاء مختلفة. وتتمتع الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية بسيطرة ذاتية على شؤونها ولكنها لا تزال تمثل فرعا من الكنيسة الروسية.

الكنيسة الأرثوذكسية البيلاروسية، على الرغم من مطالباتها الأخيرة بالمزيد من الاستقلال، لا تزال بطريركية تابعة للكنيسة الروسية.

الكنائس المتمتعة بالحكم الذاتي في كل من أستونيا، لاتفيا، ومولدوفا، وكذلك المناطق الحضرية في كازاخستان وآسيا الوسطى، تعتبر جميعها جزءا من الكنيسة الروسية.

ومع ذلك، فإن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ليست متراصة. وألقت التوترات المستمرة في المنطقة منذ قرون عديدة بانعكاساتها على الانقسامات بين الكنائس الأرثوذكسية المختلفة. وكان من المقرر أن يكون اجتماع المجلس مطلع الأسبوع الحالي هو الأول الذي يضم جميع الكنائس الأرثوذكسية منذ أكثر من ألف عام، وبالتحديد منذ عام ٧٨٧م.

كان واحدا من العديد من الأسباب التي أدت إلى الانقسام بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية في عام ١٠٥٤ هو الخلاف حول دور البابا. تعرف الكنائس الأرثوذكسية رئيس أساقفة القسطنطينية بأنه «الأول بين متساوين»، يتم صناعة القرار الكنسي بشكل إقليمي ويعتبر جميع الأساقفة متساوون إلى حد كبير.

الحروب الدينية

ليس من الصدفة إذا أن الكنيسة الأرثوذكسية الصربية والكنيسة الأرثوذكسية البلغارية قد انضمتا إلى روسيا في رفض حضور المجلس. هذه الكنائس لديها علاقات وثيقة تاريخيا بالكنيسة الروسية. يعود هذا التقارب إلى جذور مضت عندما كانت صربيا وبلغاريا تحت حكم الإمبراطورية العثمانية، وكان جزءا من استراتيجية الإمبراطورية الروسية يكمن في العمل على دعم الجماعات السلافية الأرثوذكسية التي كانت تعيش ضمن حدود الإمبراطوريات العثمانية والنمساوية المجرية.

خلال الحرب الروسية التركية بين عامي ١٨٧٧ و١٨٧٨، خاضت القوات الروسية قتالا ضد العثمانيين، وكانت النتيجة في النهاية هي استقلال صربيا في عام ١٨٨٢ تلتها بلغاريا في عام ١٩٠٨. كانت الكنيسة الروسية تساعد في بناء واستعادة الكنائس في البلدان التي يتم انتزاعها من أيدي العثمانيين.

الكنائس الأرثوذكسية الأخرى ليست بالضرورة على مقربة من الكنيسة الروسية. قاتلت رومانيا إلى جانب روسيا في تلك الحرب، وحصلت على الاعتراف باستقلالها في عام ١٨٧٩ ولكن الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية تمتعت بهوية دينية فريدة حتى مع وقوعها تحت الحكم العثماني، وهي تنظر إلى مسيحيتها باعتبارها تعود إلى عهد الإمبراطورية البيزنطية. الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية هي بدورها كيان خاص بعيد عن النفوذ الروسي. بعض الكنائس الأرثوذكسية تعطي احتراما خاصا لكبير أساقفة القسطنطينية (إسطنبول) بالنظر إلى المكانة الخاصة التي يتمتع بها.

ولكن من ناحية أخرى، فإن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تنظر إلى كبير أساقفة القسطنطينية على أنه مجرد شخص يتبعه قطيع لا يتجاوز عددهم ١٨٠ ألف شخص يعيشون في إسطنبول، مقارنة بحوالي ١٠٠ مليون من المسيحيين الأرثوذكس الروس. وكان مجلس الأساقفة الروس قد قام بتنصيب زعيمه الخاص في عام ١٤٤٨ دون الحصول على موافقة من القسطنطينية، التي سقطت في يد العثمانيين بعد ٥ أعوام في عام ١٤٥٣. ظلت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تعمل وفق هذه الاستقلالية بينما يسيطر عليها حس كونها الوريث الشرعي لسقوط العاصمة الشرعية للأرثوذكس قبل ٦ قرون. جزء من نفوذ الكنيسة الروسية يرجع إلى حقيقة كونها تمثل أكثر من ١٠٠ مليون شخص، أو أقل قليلا من ٤٠٪ من جميع المسيحيين الأرثوذكس في العالم.

وأدت عودة ظهور روسيا إلى دائرة الأضواء من جديد إلى تجدد هذه الديناميات المنسية منذ زمن طويل. تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية هو تاريخ طويل ومعقد ومليء بالانشقاقات والجدالات الفقهية. ولكن في حين أن تلك الخلافات غالبا ما تكون لاهوتية، فإنها تمثل أيضا انقسامات سياسية حقيقية يمكن أن تؤثر في مجريات السياسة الحالية. الكنيسة الأرثوذكسية الروسية هي أداة محتملة قوية لروسيا يمكن أن تستخدمها لتأسيس الشرعية وتوليد التعاطف في العديد من المناطق.

الدين والجغرافيا

هذا يقودنا إلى الأهمية الأكثر تجريدا للخلاف

داخـل الكنيـسة الأرثوذكـسية. الـدين والجغرافيـا الـسياسية ليـسا منفـصلين. الـدين بقـدر مـا هـو جـزء مـن الجغرافيـا الـسياسية وكـذلك الـشؤون العـسكرية والاقتصاد. ولكـن أهميـة الـدين قـد تـضاءلت منـذ الـرقن الـ١٩ مـع ظهـور القوميـة في جميـع أنحـاء أوروبـا، قبـل أن تعيد تشكيل العالم بأكمله.

القوميـة هـي الـتي تحكـم اليـوم، ولكـن دور الـدين في التنظيـم الـسياسي لم يـصبح بعـد مـن إرث الماضـي. لا نحتاج للنظـر إلى مـا هـو أبعـد مـن «الدولـة الإسـلامية» مـن أجـل أن نـلتقط الـدليل. في الـشرق الأوسـط، فـإن مزيجـا مـن خيبـة الأمـل مـن الطغـاة الـذين ترعـاهم الإمبرياليـة الغربيـة، إضـافة إلى فـشل القوميـة العربيـة والاشـتراكية، وغيـاب الفـرص الحقيقيـة يقـود نحـو العـودة إلى الـدين باعتبـاره مـصدرا للمعنـى في العـالم. الإسـلام هـو الـشيء الوحيـد الـذي كـان قـادرا في أي وقت مضى على توحيد الشرق الأوسط.

نحـن لا نفكـر في كـثير مـن الأحيـان في أوروبـا وفـق نفـس الـشروط لأننـا نـرى أنهـا قـد منحتنـا النهـضة والتـنوير والثـورة العلميـة. ولكـن العـالم العربـي كـان أيـضا يومـا منـارا للحيـاة الفكريـة في العـالم. حـين يتعلـق الأمـر بالجغرافيـا الـسياسية فإنـه لاشـيء يمكـن أن يبقى ثابتا.

الدين في أوروبا

تجمـع الخريطـة الموضـحة بـين الحـدود الوطنيـة والعقائـد الدينيـة. هنـاك بعـض الملاحظـات الـتي تـستدعي الانتباه علـى الفـور. لقـد قمنـا برسـم خـط في روسـيا يمثـل المنطقـة الـتي لا يمكـن لروسـيا خلفهـا أن تتحمـل أي تهديـد لأمنهـا القـومي. المنـاطق الأرثوذكـسية وراء هـذا الخـط هـي المنطقـة العازلـة التاريخيـة الـتي تـسعى روسـيا إلى استعادة نفوذها فيها.

البلقـان هـي خلـيط، لـيس فقـط مـن الجنـسيات ولكـن أيضا مـن الـديانات. وهـي تمثـل المنطقـة الفاصـلة مـا بـين تركيـا وأوروبـا، ومـا بـين المـسيحية والإسـلام. أوروبـا الغربيـة كاثوليكيـة إلى حـد كـبير ولكـن ألمانيـا، كمـا كانـت دائمـا، تقـع في قلب القـارة الأوروبيـة وهـي ليـست تمامـا مثـل بقيـة جيرانهـا. عـبر مختلـف القنـوات والبحـار، فـإن البريطـانيين والإسـكندنافيين لديهم معتقداتهم الخاصة بهم.

أكثـر مـا يلفـت الانتبـاه هـو أن أوروبـا الـشرقية والغربيـة تتقـسمان عـن طريـق الـدين. يمكـن للمـرء أن يجـادل أن ذات الانـشقاق بـين الـشرق والغـرب هـو الانـشقاق الـذي فـصل يومـا بـين الكاثوليـك والأرثوذكس عام ١٠٥٤.

مـرت الأيـام الـتي كـان خلالهـا البابـاوات أو البطاركـة يتوجـون كأبـاطرة ويقومـون بـإعلان الحـروب الـصليبية أو أي حـروب أخـرى، ويتحكمـون في المـصير الجيوسياسـي لأوروبـا. ولكـن في بعـض الأحيـان فـإن أشـباح التـاريخ تلعـب دورا في تـشكيل الحاضـر. لم يعـد الـروس يملكـون القـدرة علـى السيطرة علـى هـذه الأمـاكن بـالقوة. ولكـن علـى الـرغم مـن هـذا الـضعف النـسبي، فإنـه لا يـزال لـديهم العديـد مـن الأدوات تحـت تـصرفهم. والكنيـسة هـي واحـدة مـن هذه الأدوات.

قيـام الكنيـسة الأرثوذكـسية الروسـية بـإعلان انـسحابها مـن اجتمـاع المجلـس المقـرر للعـالم الأرثـوذكس يخبرنـا بـالكثير حـول علاقـات روسـيا مـع جوارهـا العـازل. كمـا أنـه يـوفر أيـضا فرصـة للـتفكير مـرة أخـرى في الوقت الـذي كـان فيـه الـدين، أكثـر مـن أي كيـان سياسـي أو أيدولوجيـة أخـرى، هـو الطريقـة الأكثـر فعاليـة لتنظيـم البـشر إلى مجموعـات أكـبر مـن عائلـة واحـدة أو قبيلـة. ورغـم أن الـدين لا يحمـل نفـس النـوع مـن الـسلطة اليـوم في أوروبـا، فـإن مـيراث القـرون الماضـية يبقـى حاضـرا بقـوة في صـراعات اليـوم. تحـدث «نيتـشه» عـن مـوت الإلـه، ولكـن هـذا لا يعـني أن هـذا الاعتقاد لا يمكن إعادة إحيائه اليوم.

المصدر | جيوبوليتيكال فيوتشرز

المسلمون الإيغور في الصين:
اضطهاد ومعاناة تتجدد مع شهر رمضان

موقع الخليج الجديد

يرى إيغوريون مسلمون بإقليم شينغيانغ الصيني أن ممارسات الحكومة، ومنها حظر صيام الموظفين الحكوميين والطلاب في رمضان، جزء من مخطط يستهدف طمس هويتهم الدينية والثقافية.

ورفض «يوسف»، الذي يعمل مدرسا في إقليم شينغيانغ شمالي غربي الصين، التعليق على قرار السلطات منع الطلاب دون سن الثامنة عشرة والموظفين بالدوائر الحكومية من الصيام، وتشديدها على الالتزام بفتح المطاعم والمحال التجارية في نهار رمضان.

لكنه أكد أن الأزمة أكبر من مجرد قانون جائر لصرف الأنظار عن القضية الأساسية التي تناضل من أجلها الأقليات المسلمة في الصين.

وقال للجزيرة نت أمس الثلاثاء: «من المؤسف التركيز في بعض وسائل الإعلام على حظر الصيام في رمضان، في حين أننا نعاني على مدار أشهر السنة من اضطهاد ممنهج وممارسات عنصرية فاشية لا يلقي أحد لها بالًا». ويأمل «يوسف» أن تقف دول عربية وإسلامية مع قضية المسلمين في شينغيانغ.

أما «موسى»، الذي يعمل في الخفاء بمركز لتحفيظ القرآن في مدينة أورومتشي العاصمة الإدارية للإقليم، فاعتبر أن القرار جزء من مخطط كبير لطمس المعالم الدينية والثقافية، وتهميش الحياة الإسلامية في شينغيانغ بحجة مخالفتها القوانين والأعراف الصينية.

وقال «موسى» إنه رغم تعميم الحكومة على المدارس بمنع الطلاب من الصيام، فإن الطلاب لا يزالون متمسكين بثقافتهم وهويتهم الدينية، وأشار في المقابل إلى أن مدينة أورومتشي تشهد انتشاراً لمحال بيع الخمور ومراكز المساج والنوادي الليلية التي يديرها أبناء قومية «الهان». وأوضح أن هؤلاء يسيطرون بفضل الحكومة على كافة القطاعات الاقتصادية في الإقليم.

محظورات

ويؤكد «خليل»، وهو إمام مسرّح من عمله في مدينة كاشغر، أن السلطات الصينية أغلقت خلال العقدين الماضيين أكثر من ستة آلاف مسجد، وسرحت عشرات الآلاف من الأئمة الإيغوريين، وحظرت استخدام الأحرف العربية في الخطابات الرسمية، وأخضعت المؤسسات التعليمية للمناهج الصينية، دون أدنى اعتبار لخصوصية الإقليم الدينية والعرقية.

وقال «خليل» إن ما وصفها بالسياسات العنصرية لم تقف عند هذا الحد، إذ حظرت السلطات في يونيو/حزيران ٢٠١٤ للمرة الأولى الصيام في شينغيانغ.

ففي ذلك الوقت نشرت الإدارة المركزية بيانًا حذرت فيه المسلمين الذين يعملون في المؤسسات والدوائر الحكومية من الصيام أو القيام بواجبات دينية مرهقة خلال شهر رمضان، وطالبت الطلاب والمدرسين بعدم الصوم.

ولاحقًا أصدرت السلطة المحلية في مدينة كاراماي، شمال غربي شينغيانغ، قرارا بمنع النساء المحجبات والرجال الملتحين وكل من يرتدي ملابس تحمل رمز الهلال والنجمة من ركوب الحافلات بحجة تعزيز الأمن والسلم في المدينة.

وفي نهاية العام نفسه، أصدرت السلطات القضائية في أورومتشي قانونًا بحظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة. وحذرت السلطات الأمنية بعد ذلك كافة شركات الملابس بالمدينة والخياطين من تصنيع ملابس المحجبات.

مبررات رسمية

في المقابل، نفت السلطات الصينية أن تكون قد مارست تمييزا عنصريًا ضد المسلمين في إقليم شينغيانغ، وقالت إنها حرصت على تهنئة المسلمين من مختلف المجموعات العرقية في الصين.

جاء ذلك في بيان نشرته الحكومة المركزية على موقعها الإلكتروني، أوضحت فيه أن قرارها بمنع

الصيام في نهار رمضان «يأتي في إطار حرص الدولة على صحة وسلامة الطلاب القصر، لما يسببه الصيام من أضرار قد تلحق بهم جراء بقائهم فترة طويلة بلا طعام».

وكان الأمين العام للجنة الأقاليم في الحزب الشيوعي الصيني «تشانغ شيان» قد ردّ في وقت سابق على انتقادات حقوقية وجّهت إلى الصين عقب صدور القرار بقوله إن الحكومة الصينية تكفل حرية ممارسة العبادة للجميع، وإن الدولة لا تتدخل في شؤون الأقليات الدينية إلا بالحد الذي يستدعي منها التدخل للحفاظ على حياة مواطنيها.

تجدر الإشارة إلى أن قرار السلطات الصينية بحظر الصيام في شينغيانغ تزامن مع إصدار المكتب الإعلامي لمجلس الدولة الصيني في الثالث من يونيو/حزيران الجاري كتابًا بعنوان «حرية العقيدة الدينية في شينغيانغ.. الكتاب الأبيض»، يوضح المبادئ الدستورية التي حددتها الدولة لضمان حرية العقيدة الدينية في منطقة شينغيانغ الإيغورية الذاتية الحكم.

ويذكر أنه تم العمل بالمبادئ الدستورية الخاصة بحرية العقيدة الدينية في إقليم شينغيانغ منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩. ومذاك يشتكي الإيغوريون من «سياسات عنصرية» تمارسها السلطات الصينية بحقهم، مؤكدين أن مثل هذه المبادئ والقوانين لا تعدو كونها حبرًا على ورق أبيض.

وبحسب الأهرام المصرية اليوم الأربعاء لفت الكتاب الأبيض إلى وجود ٢٤٤٠٠ مسجد، و٢٨٦٠٠ رجل دين فى شينغيانج، كما خصصت الحكومة المركزية بتخصيص أكثر من ١٠ ملايين يوان (١,٦ مليون دولار أمريكى) للحفاظ على وترميم عدد من أهم المساجد والمواقع الدينية فى شينجيانج منذ عام ١٩٨٠.

وتحتضن منطقة شينغيانغ ١٠مليون مسلم من أقلية الإيغور، وهؤلاء يمثلون ٥٥٪ من إجمالي عدد المسلمين في الإقليم البالغ ١٨ مليون.

ويؤكد الكثير من الحقوقيين تعرض هذه الأقلية منذ سنوات عدة إلى انتهاكات كثيره تمارسها السلطات الصينية، أهمها نهب ثروات الإقليم، إضافة إلى تهميشهم في الوظائف، وإجبارهم على بيع محاصيلهم بأسعار متدنية. وفي السنة الماضية أجبر السكان الذين يحملون جوازات سفر على أن يعيدوا جوازاتهم قبل ١٥ مايو ٢٠١٥ إلى مراكز الشرطة. وأصبح استخدامه تحت الطلب. وإذا استخدم أحدهم جوازه ولم يعده خلال المدة المحددة فستبطل صلاحيتهن بحسب تعميم إداري للحزب الشيوعي.

الصندوق الأسود لإيران... مسؤول سابق رفيع المستوى يكشف تفاصيل مثيرة عن أجهزة الحكم في طهران

هافينغتون بوست عربي –٢٠١٦/٦/٢١

يوصف بأنه رجل إيران الغامض، فهو خزانة متنقلة للأسرار يرفض أن يبوح بها بعد أن طُرد من الحكم، وأصبح منفياً، ولكنه لا يخفي أنه زار إسرائيل مفوضاً من الدولة الإيرانية، عكس ما تعلنه طهران رسمياً بعدم الاعتراف بإسرائيل.

إنه د. شاهين دادخواه، مستشار الرئيس حسن روحاني خلال فترة رئاسته للمجلس الأعلى للأمن القومي بإيران، وعضو مؤثر في الوفد الإيراني في المحادثات النووية مع الغرب، إبان فترة الرئيس الأسبق محمد خاتمي (١٩٩٧- ٢٠٠٥).

وحالة دادخواه ليست الوحيدة، فهناك المسؤول المنشق سيد مصطفى ميرشفيعي الذي سبق أن حاورته هافينغتون بوست عربي بعد أن فر إلى تركيا، وكلاهما يمثل نموذجاً للصراع بين المسؤولين، ويشير للانقسامات العميقة داخل إيران.

«هافينغتون بوست عربي» حاورت دادخواه الذي يعد بمثابة صندوق أسود للدولة الإيرانية المحاطة بالعديد من الأسوار، عن أسباب اعتقاله

السابق، والرسائل التي نجح في تسريبها من سجنه، وعن أجهزة الاستخبارات الإيرانية، ومدى قدرتها على إيقاف الأقمار الصناعية السعودية بالمنطقة، وملفات سياسية أخرى.

الاعتقال المفاجئ مطلع ٢٠١٠

كان عمره ١٩ عاماً، عندما التحق شاهين دادخواه بنظام استخبارات الدولة الإيرانية، الذي يوصف بأنه حديدي، وكان ذلك في بداية الثمانينات، رغم أنه لم يكن مسلحاً بالتشدد الديني والحماسة الثورية كما كان يقتضي الأمر، وصنع سمعته كرجل قوي وتكنوقراطي، ما أتاح له أن يستمر في عمله في وظائف أمنية حساسة، منها عمله مستشاراً أعلى لوزارة الأمن والاستخبارات الإيرانية عام ١٩٩٩.

لكنه تعرض مطلع عام ٢٠١٠ لاعتقال مفاجئ، حين كان عضواً في مركز الأبحاث الإستراتيجية التابع لمجلس تشخيص مصلحة النظام، بوصفه خبيراً في شؤون الشرق الأوسط، ولكن أليس لهذا المنصب حصانة من المحكمة بموجب القانون؟

يقول دادخواه إنه «لا يوجد لأحد في إيران حصانة من المحكمة، إلا لآية الله خامنئي المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية. وسبق أن شهدنا على مدى العقدين الماضيين عدداً من مسؤولين رفيعي المستوى خُلعوا من مناصبهم أو تقاعدوا جراء تهم سياسية».

هل كان الأمر مفاجأة كاملة، أم كانت السلطات تراقبه وزملاءه في القضية قبل الاعتقال؟ يرد بأن «كل من يعمل في مراكز البحوث الإيرانية يخضع للمراقبة المستمرة عبر الأجهزة الأمنية، التابعة لوزارة الاستخبارات والجيش، حتى أن اختيار أعضاء تلك المراكز لا يتم إلا بعد موافقة قوت الأمن».

في تلك الفترة تمت التضحية بعدد من أعضاء «مركز الأبحاث الإستراتيجية» التابع لمؤسسة «مجمع تشخيص مصلحة النظام» برئاسة هاشمي رفسنجاني، بتهمة التجسس لصالح الغرب، منهم شاهين دادخواه الذي حصل على الدكتوراه في العلاقات الدولية من إسبانيا، ولكن انتهى الأمر به إلى قضاء ٤ سنوات و٩ أشهر في السجن وهو يقيم الآن في تركيا.

من مجلس الأمن القومي لسجن إيفين

في مطلع ٢٠١٠ وجهت وزارة الأمن والاستخبارات إلى شاهين دادخواه وآخرين اتهامات بالتجسس، وعاقبته محكمة الثورة بالسجن ٥ أعوام، أمضاها في سجن إيفين الرهيب، المعروف باستضافته للمعارضين وسجناء الرأي، حتى غادره في ديسمبر/كانون أول ٢٠١٥.

ومن زنزانته وصل صوته إلى الرأي العام الإيراني لأول مرة، عبر رسائله التي لم يتوقف عنها إلا بعد إطلاق سراحه. فهل كانت رسائله أملاً في عدالة يفتقدها، أم كانت سعياً لكشف معلومات سرية، وتسجيل وقائع بعينها في صفحات التاريخ؟

يقول شاهين دادخواه، إن السبب هو مزيج من كل هذه الدوافع، «كنا في مركز الأبحاث الإستراتيجية معارضين لسياسات حكومة أحمدي نجاد واستمرت هذه الاعتراضات في السجن. ومن ناحية أخرى كان ينبغي أن يطلع الرأي العام على بعض الأحداث، ورسائلي من السجن كانت في هذا الإطار، وجمع بعض أصدقائنا في جامعة طهران تلك الرسائل في سلسلة مسماة: شاهين دادخواه من المجلس الأعلى للأمن القومي الى سجن إيفين، ومن ثم قاموا بنشرها».

التعذيب الجسدي والنفسي في السجن

البعض يتصور أنه كانت هناك فرصة لتغيير نظام السلطة في فترة ما بعد خاتمي الذي انتهت ولايته عام ٢٠٠٥، وكان يوصف بأنه إصلاحي في مواجهة التيار المحافظ المتزمت.

لكن دادخواه يقول في حواره مع «هافينغتون بوست عربي»، إن بنية السلطة في إيران ليست على يد واحدة، والمعارضة اليوم أقوى بكثير مما كانت عليه من قبل. وإذا لم يلتزم النظام بالحفاظ على حقوق المدنيين «فلن يستطيع البقاء في الحكم، خاصة أن ظروف حكومة روحاني الذي اختار شعار: الاعتدال والأمل، تختلف عن ظروف

حكومة الإصلاحات لخاتمي»، فكل منهما نشأ في ظروف سياسية مختلفة، حتى الوضع الدولي يختلف تماماً في الفترتين.

ورغم أن أنظمة أجهزة الاستخبارات لا تسمح عادة للعامل فيها أن يعتزل تماماً، بل لا بد أن يستمر في عمله بطريقة أو أخرى، فإن دادخواه لم يتعاون مع الاستخبارات الإيرانية بعد خروجه من السجن.

ويرد الرجل الغامض قائلاً «لم أتعاون معهم أصلاً من البداية، لو تعاونا مع المسؤولين ما فتحت علي وعلى زملائي في العمل كل هذه الملفات المزورة وما أقيمت هذه المحاكمات الصورية».

يضيف «التعذيب الجسدي والنفسي الذي تعرضنا له في السجن يدل بوضوح على عدم تعاوننا معهم. وجميع القرارات والإجراءات التي اتخذتها وزارة الاستخبارات خلال فترة حكومة أحمدي نجاد كانت سياسية، وتمليها مؤسسات السلطة».

المعروف أن دادخواه بدأ مهنته الأمنية والدبلوماسية في فترة التراجع النسبي للخطاب الثوري في حكومة خاتمي، ما أتاح الفرصة للمتخصصين للصعود، وفي مثل هذه الظروف انضم إلى المجلس الأعلى للأمن القومي وفريق معالجة الاتفاق النووي في عهد خاتمي، في السنوات التي حققت إيران تجربة ناجحة في التوازن والتوفيق بين الخطاب الوطني المستقل والتعامل مع الغرب.

حقيقة الجاسوسية والعمالة للخارج

بالإضافة إلى عمله في الداخل، فقد شارك دادخواه في مشاريع سياسية في الخارج كالمفاوضات سرية مع أميركا وإسرائيل التي تحاول طهران إخفاءها، بل إن «إمعانها في التنصل منها بعد رفع لثام الكتمان عنها أدى إلى التضحية بالمندوبين والمبعوثين الذين شاركوا في تلك المفاوضات بعد انتهائها»، بحسب ما يذهب إليه دادخواه.

سألنا الرجل الذي يجيد لغات أجنبية متعددة، منها الإنجليزية والفرنسية والتركية، بشأن الاتهامات بنقل معلومات للخارج أثناء فترة عمله، عن طبيعة هذه المعلومات، التي نقلها، تعمداً أو سهواً، للأجانب وكانت حساسة للمحققين.

فأجاب دادخواه «كانت جميع مفاوضاتنا في إطار محدد مفسر من قبل المجلس الأعلى للأمن القومي ولا يمكن لأي أحد أن يتفاوض خارج هذا الإطار مع دولة أخرى. وكل هذه الاتهامات سياسية وتمت تنفيذاً لإرادة بعض المؤسسات الحكومية والفرق السياسية التي كانت لها يد طولى في وزارة الاستخبارات. وفي أكثر الحالات ما كان يعرف المحققون أنفسهم ماذا يريدون منا، لأنه ما كان لديهم خبرة كاملة في هذا المجال».

لكن دادخواه أصبح قليل الكلام مقارنة بما كان في السجن، مع أنه الآن خارج السجن والبلاد، ولديه حرية أكثر مما كنت من قبل، ويقول معلقاً على ذلك «كل ما كان من الضرورة في نظري كتبته في مقالاتي من قبل. هناك لكل أنظمة في العالم توجد أسرار وما دامت هذه الأسرار تحت إطار المنافع القومية لا بد أن تحفظ ولا تكشف من قبل الأفراد».

وأضاف «كل ما قلته حتى الآن بشأن الانتهاكات الحكومية كان تحت إطار نظام الدولة وكان هدفي من كشفها عرض هذه القضايا وحلها. هذه الأسرار كانت مرتبطة ببلدنا فقط. كما قلت، لكل دولة أسرار وتحاول أن تبقى تلك الأسرار بموجب القانون سرية غير مكشوفة».

أسطورة النظام الأمني الإيراني

المحافظون والمتشددون في إيران ومنهم حسين شريعت مداري، اعتبروا أن كشف المعلومات من قبل بعض الأفراد مثل دادخواه كان لمصالح شخصية فقط، فهل يعتقد الرجل أن ما فعله كان لصالح المجتمع الإيراني؟ وهل قيام الموظفين

الحكوميين الذين قال في رسائله إنهم نقلوا المعلومات السرية للأجانب، كان مقابل النقود أم عن قناعة عقدية؟

يرد «لا يبالي سياسي جاد بأقوال حسين شريعت مداري، ولم تكشف معلومة من قبل هؤلاء. وكل ما قلت وكتبته في مقالاتي عنهم كان عن انتهاكاتهم التي ارتكبوها وكتبت تقريراً حول هذه الانتهاكات حتى تهتم بها الحكومة وتحققها».

يضيف «ما فعله أمثال حسين شريعت مداري يعد تساهلاً استخباراتياً لا كشف أسرار الدولة. أعني عدم وجود الخبرة الكافية لأمثالهم أضر بالمصالح القومية».

وفقاً لما سبق أن قال دادخواه لم يتم القبض حتى الآن على منفذي اغتيال العلماء النوويين، وصار عدد من الأبرياء ضحايا بدل المنفذين الأصليين. فسألناه هل الحديث عن قوة الأجهزة الأمنية في إيران كذبة يتم الترويج لها؟

يقول دادخواه «وقع كثير من هذه الاغتيالات بسبب تساهل أعضاء مجلس الأمن القومي خلال فترة حكومة أحمدي نجاد، فلم يكن لدى المسؤولين الكبار للأمن القومي من الخبرة الكافية التي تؤهلهم للعمل في هذه المناصب ومن ناحية أخرى أسس الحرس الثوري الإيراني مؤسسة استخباراتية لإضعاف وزارة الاستخبارات التابعة للحكومة بل أقوى وأكبر حجماً منها، وملأ الجو السياسي عموماً الفراغ المهني والخبرة».

ويضيف «دادخواه إلى ذلك ما يصفه بكذبة الاستقرار السياسي والأمني في إيران، قائلاً إنه، وعلى خلاف ما يبدو في الظاهر، لن يستمر الاستقرار الأمني في إيران. والفرق الأساسي في الاستقرار الأمني بين إيران وسائر الدول في منطقة الشرق الأوسط يتعلق بأنه ليس للأكراد المتطرفين وداعش مكانة اجتماعية في إيران».

لكن كيف نفسر إذن حديث حيدر مصلحي الوزير السابق للأمن القومي في حكومة أحمدي نجاد، بأن لوزارة الاستخبارات يداً طولى على معارضة الحكومة خارج البلاد؟

يرد دادخواه «ليست لنا معارضة قوية جادة خارج البلاد، واعتقد أن السيد حيدر مصلحي ينظر إلى القضية من منطلق الثناء والمدح الخادع، فلقد كان مشروعه غوغائياً غير واقعي وطرح لتبرير ضعف النشاطات الاستخباراتية في تلك الفترة».

ومما يلفت النظر في هذه المشاريع أنه تم إلقاء القبض على أكثر العاملين فيها من قبل وزارة الاستخبارات الإيرانية بتهمة التجسس ضد الدولة لصالح الأجانب.

الحرب النفسية لتخويف العالم من إيران

التقرير السري لجهاز الاستخبارات الأميركية المركزية «سي أي إيه» المسرب في عام ٢٠١٥ وصف الاستخبارات الإيرانية بأكثر الأنظمة الاستخباراتية صرامة في العالم، كما أنه حسب قول هيلاري كلينتون خلال فترة توليها وزارة الخارجية الأميركية إن واشنطن بعد بكين تعتمد كثيراً على طهران. سألنا دادخواه عما إذا كان يعتبر هذه الادعاءات حرباً نفسية، وأيها يوافق الحقيقة؟

قال «ينبغي حمل تصريحات هيلاري كلينتون عندما كانت وزيرة الخارجية الأميركية في تلك الفترة على أنها حرب نفسية بهدف التخويف من إيران. فالقوة الاستخباراتية لأي حكومة في النظام الدولي ترتبط إلى حد كبير بالهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية، وكانت طهران في تلك الفترة معزولة تقريباً من النظام الدولي».

وما صحة الحديث عن قدرة أجهزة الاستخبارات الإيرانية على إيقاف الاقمار الصناعية السعودية العاملة في المنطقة؟

يـرد دادخـواه في حـواره مـع «هـافينتغتون بوسـت» أنـه «ليـست لـدى الجمهوريـة الإسـلامية ولا المملكـة العربيـة الـسعودية قـوة لإضـعاف بعـضها الـبعض في المنطقـة. وإيـران والـسعودية همـا قوتـان هامتـان مؤثرتـان في المنطقـة وخلافاتهمـا حـول قـضايا الأمـن والإرهاب زادت اشتعال الأزمة في الشرق الأوسط.

وتعتقـد طهـران أن تحقيـق اسـتقرار الأمـن القـومي مخـول لـدول بالمنطقـة، ولكـن المملكـة العربيـة الـسعودية تحـاول تحقيـق اسـتقرار الأمـن القـومي مـن خلال وجود القوى الإقليمية في الخليج».

وبحـسب دادخـواه فـإن إيـران تعـارض الـسعودية بـشدة بـسبب هـذه الـسياسات «وسـتؤدي سياسـات المنافـسة بـين البلـدين ضـد بعـضها الـبعض إلى تعزيـز الجماعات المتطرفة في المنطقة».

وتقلـق الـسعودية مـن تعزيـز «الجماعـات المارقـة» ككيـان مـواز لـوزارة الخارجيـة الإيرانيـة، الـتي لـيس لـدى الحكومـة سـيطرة عليهـا، وأوضـح مثـال علـى مـا ذلـك إضـرام الـنيران في الـسفارة الـسعودية في طهـران من قبل هذه «الجماعات المارقة المتطرفة».

لماذا زار دادخواه إسرائيل؟

يقـال إن إيـران تـضحي دائمـاً بالمـصالح القوميـة مـن أجـل الأهـداف الأيديولوجيـة، ولكـن زيـارة الرجـل إلى إسـرائيل تنتهـك هـذه القاعـدة، فمـاذا كـان هـدف هذه الرحلة ونتائجها؟

يقـول دادخـواه «لا تتقيـد الدبلوماسـية الإيرانيـة بحـدود، بـل نطـاق عملنـا الدبلوماسـي في سياق النظـام الـدولي يـشمل كـل الـدول. والـسياسة الخارجيـة والأمـن القـومي في كـل بلـد يجـب أن يقـرر في سـياق واقـع النظـام الـدولي والنظـام الإيرانـي يعتـبر إسـرائيل من القوى الإقليمية وجزءاً من النظام الدولي.

وخـلال الحـرب بـين إيـران والعـراق قـد تفاوضـنا عـدة مـرات مـع القيـادة العراقيـة. ومثـل هـذا حـدث في الماضـي، ويتفـاوض الوفـد الإيرانـي في إطـار المـصالح القوميـة مـع كـل الـدول الأعـضاء في الأمـم المتحـدة. وهذا هو المبدأ المقبول دولياً».

وعلـى سـبيل المثـال تفاوضـت أميركـا في فـترة الـستينيات إلى الـسبعينيات مـع التـشيك في بولنـدا. وكـان بـدأ العلاقـات بـين أميركـا والـصين منـذ ١٩٧٢ وتوسعت اليوم إلى هذا الحد.

مستقبل الرجل الغامض

مـن ملفـات د.شـاهين دادخـواه الـشائكة قيامـه بـالحوار قبـل ٣٧ سـنة بالتنـسيق مـع قيـادة الجمهوريـة الإسـلامية وكمنـدوب رسمـي لهـا مـع عبـاس أمـير انتظـام، المتحـدث الرسمـي لحكومـة المهنـدس مهـدي بازرجـان في عـام ١٩٨٠ مـع أميركـا في سـياق مـصالح محددة.

وبعـد أن اسـتغنت قيـادات الثـورة عـن بازرجـان وحكومتـه، اسـتخدموا مـن تلـك الوثـائق الحكوميـة ضـد أمـير إنتظـام واتهمـوه بالتجـسس للغـرب، وألقـوه في الـسجن فـصار ضـحية لهـذه اللعبـة الـسياسية، ولا يسمحون له حتى اللقاء مع أبنائه كل هذه المدة.

فكيـف تبـدو الأهـداف الـسياسية والأمنيـة مـن الآن للمستقبل في نظر الرجل الغامض؟

يجيـب بـأن لديـه عـدة طلبـات للتعـاون مـن قبـل عـدد مـن المؤسـسات الدراسـية في بلـدان مختلفـة، وسـوف يكون نشاطاته في هذا الصدد.

رسالة إلى د. موسي أبور مرزوق

د. نواف تكروري – الأمين العام لهيئة علماء فلسطين الخارج
صفحته على الفيس بوك ٢٠١٦/٦/١٦

إلى الأخ الحبيـب د. موسـى أبـو مـرزوق وإلى كل قيادة حماس.

وهـذه المـرة عـبر الوسـائل وبالنـشر الـصريح وذلـك لأن تـأخير البيـان عـن وقـت الحاجـة وعـن موضعها لا يجوز.

أود ابتـداءً سـؤال أخينـا الحبيـب د. موسـى: أيّ إيـران الـتي شـكرتها؟ هـل إيـران الـتي وصـفتها بأنهـا باطنيّـة؟ أم إيـران الـتي قلـتَ بأنهـا لم تقـدّم للمقاومـة

في غزة شيئا من عام ٢٠٠٩م ؟ أم إيران التي وصفتها بأنها مكذبة؟ وهل تحولت إيران هذه بين عشية وضحاها إلى المحسن الكبير؟!!

الحقيقةُ التي يعلمها الجميعُ هي أنّ إيران قاتل للمسلمين وليس صديقا فلقد اعلنت عداء سافرا للأمة بل مارست القتل بأبشع صوره ضد المسلمين في سورية والعراق واليمن ولو استطاعت أن تزرع لنا بذور فتنة في فلسطين لفعلت ولن تدع المحاولة.

وبالتالي فإنه ليس مقبولا من أحد مهما كان موقعه كيل المدائح لإيران، والذي نسمعه من التصريحات المتكررة في شكر إيران لا يقره شرع ولا هو سياسة ناجحة ولا يؤيده منطق ولا يخدم مصلحة القضية والشعب الفلسطيني ولا الحركة التي تنتهج الإسلام منهجًا وتتخذه قائدا لها في كلّ تصرفاتها.

وهنا أود التأكيد على أن فلسطين التي ندافعُ عنها ونعملُ لها هي فلسطين الأمة وليست للفلسطينيين وحدهم ولا لحماس وحدها ولا يجوز لاحد تحت هذا العنوان تجاوز دماء ابناء الأمة في أي مكان متذرعاً بفلسطين، ففلسطين وشعبها وحملة قضيتها هم أكثر الناس احساسا بدماء ابناء الأمة بل بالمظلومين جميعا، ولا يصح منا وضع ايدينا بأيدي مجرمين ومعتدين وظالمين لأننا نعاني من ظلم الصهاينة وقتلهم واجرامهم واعتدائهم على أرضنا ومقدساتنا، وكل من يمارس لونا من ذلك بحق أيا كان مسلما أو غير مسلم فهو ليس صديقا لنا ولا أخا فنحن اعداء الإجرام والظلم والاعتداء على كرامة الناس واعراضهم فكيف إذا كان هذا بحق المسلمين وكيف إذا كان بحق شعوب عشنا في كنفها وتقديرها سنين طويلة،

وإنّ هذه التصريحات لا يقرها الشرع لما قاله رسول الله ﷺ (مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَداعَى له سائرُ الجسد بالحُمَّى والسهر)،

ولقوله أيضا (مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا عِنْدَ مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ).

وهنا أقول وأنا أعلم ان كثيرا من الناس لن يروق له كلامي هذا: بإنني أؤكد بأنه ليس هناك أي قرارٍ في الحركةِ للثناء على إيران وشكرها بهذه الطريقة، وهذه التصريحات لا تعدو كونها تعبيرا عن حالة تخبط من بعض الأفراد والقيادات في الحركة مهما علا شانهم واعترفنا بفضلهم ومكانتهم ولعل دافعهم في ذلك ما تعانيه الحركة من ظلم الأخوة القريبين وتخليهم وضغط هؤلاء المجرمين وابتزازهم وعروضهم، وكلي ثقة بان حركة حماس ستبقى على ثباتها ومبادئها باذن الله تعالى لا تهزها الظروف ولا تغير مواقفها الضغوط وعلى الامة أن تقوم بواجبها لحماية هذا المشروع الجهادي المبارك الذي ينعكس خيره على فلسطين والأمة جمعاء.

كما أقول بكلّ وضوح بأنني إذ أبرأ إلى الله تعالى من هذه التصريحات الخطيرة التي أرى فيها مخالفةً لأوامر الشرع فإنني ادعو الإخوة الكرام ممن أطلقها إلى التبرؤ منها وادعوا الأخوة في قيادة الحركة إلى وقف هذه التصرفات التي ما فتئت تستفز مشاعر الامة.

ونسألك ربنا ان تتوب علينا وعلى اخواننا هؤلاء وتردهم إلى جادة الحق وتعينهم عليه.